إبراهيم كبة

صراط تيوز

من زمن التتوهيج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1836) السنة السابعة

الخميس (1) تموز 2010

ابراهيم كبة . .سيرة حياة ونضال

2

والدي . . ذكريات شخصية

5

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

ابراهيم كبة غني عن التعريف. من مواليد ١٩١٩ في النجف. ترعرع في بيئة وطنية دينية وتتلمذ على يد خاله الشيخ محمد مهدي كبة الذي لعب ادواره السياسية في العهد الملكي واستوزر اكثر من مرة الا انه كان مع كامل الجادرجي قطبي المعارضة المحافظة الوطنية العراقية ضد السياسات البريطانية والاحلاف، وتزعم حزب الاستقلال. وكان محمد كبة عضوا في مجلس السيادة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

ابراهيم كبة
سيرة حياة ونضال

تشرب ابراهيم كبة بالحس الوطني وتأثر بأفكار جعفر ابو التمن والحزب الوطني قبل سفره خارج العراق الى حد كبير واكتسب منه دور الجماهير صانعة التاريخ وأهمية الدفاع عن النقابات المهنية ورعاية مصالحها المختلفة واهمية الحياة الحزبية التي كانت قد الغيت بفتوى ملكية عام ١٩٣٤.. وهو العام الذي نهض فيه الحزب الشيوعي العراقي حزباً للوطن الحر والشعب السعيد متمردا على الارادة الملكية من جهة وعلى الاحزاب والافراد وضيق اهدافها وابتعادها عن الجماهير من جهة أخرى.... الا ان الحرب العالمية الثانية وسيادة المبادئ الفاشية في العالم ونهوض وانتعاش الحركة الديمقراطية العالمية من بعد كانت الفيصل الحاسم في بلورة وصياغة منهج ابراهيم كبة الفكري الاشتراكي الماركسي. فقد عاصرها بتماس مباشر متنقلا بين العواصم الاوربية والعربية وبالأخص باريس ولندن ومدريد والقاهرة وشارك في عضوية الحلقات العراقية الماركسية في العاصمة الفرنسية. وفي القاهرة ربطته بـ(الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني المصرية) وشائج وطيدة.

تابع ابراهيم كبة وهو خارج العراق اخبار وطنه وسيطرة الروح الدكتاتورية واشغال الجيش بالسياسة الفردية وتفشي مظاهر الفساد في جميع أجهزة الدولة، وسيادة الروح القومية الضيقة الشوفينية في سياسة التعليم والثقافة العامة، والاهتمام بالمظاهر من دون اللباب في التربية القومية، وتشريع القوانين المعادية للديمقراطية والاتجاهات الشعبية المثبتة للإقطاع والقوى الرجعية الأخرى (تعديلات قانون العقوبات المتصلة بجرائم الأمن العام، واصدار القوانين المتصلة بالصحافة، وتشريع وتطبيق الأحكام العرفية المختلفة، واصدار قوانين التسوية والقوانين الأخرى المتصلة بمشكلة الأرض الخ...). كما تابع بتمعن حركة الطبقة الجديدة التي خلفها الاستعمار الانكليزي من أبناء المدن من كبار رجال السياسة وابناء العائلات الكبرى والتي أرتبطت مصالحها الاقتصادية مباشرة بمصالح الانكليز عن طريق تكوين الشركات المالية الكبرى المرتبطة برؤوس الأموال الأجنبية، والمعتمدة في نشاطها المالي على الأسواق و رؤوس الأموال الاستعمارية.

عاد ابراهيم كبة الى بغداد عام ١٩٥٢ وقد ناهضته السلطات الملكية – السعيدية وطاردته في العمل والسكن. في أثناء ذلك ساهم كبة في صياغة ميثاق جبهة الاتحاد الوطني سنة ١٩٥٧ وكان على صلة مباشرة بالحركة الديمقراطية العراقية.

استوزر ابراهيم كبة في اول حكومة وطنية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة وتولى حقيبة التجارة كما تولى حقائب وزارية أخرى بالوكالة كالنفط والاصلاح الزراعي... وكان له الفضل الاول في كسر القطيعة الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية وبالاخص الاتحاد السوفييتي والمانيا الديمقراطية والصين الشعبية.. واستقبلته الجموع الحاشدة بشعار (ابراهيم كبة للأمام... ديمقراطية وسلام). الا ان تردد السياسة القاسمية في حقل الحريات العامة وبناء أسس المجتمع المدني الحديث وإطالتها الفترة الانتقالية، وتأخير تشريع الدستور الدائم، وتسييرها ماكنة الدولة على يد الجهاز الإداري نفسه خريج المدرسة الملكية في قمع الشعب... دفعت كبة لتقديم استقالته اكثر من مرة وجوبهت برفض الزعيم عبد الكريم قاسم... حتى اواسط عام ١٩٦٠. في هذه الفترة شارك كبة بهمة في حركة انصار السلام والعمل الاكاديمي التدريسي والبحثي في جامعة بغداد.. وارتبط تنظيميا بالحزب الشيوعي وكان من دعاة تشديد الصيانة الحزبية وارساء المركزية الديمقراطية على اسس وطيدة بحكم استقواء اعداء الشعب وبالاخص زمر البعث والرجعية واتسمت شخصيته بالحزم اللامتناهي والصرامة التي يشهد عليها القاصي والداني، العدو والصديق.

اعتقل بعد ٨ شباط الاسود وتنقل في معتقلاته بين مركز شرطة المأمون حيث شهد اعدام الشهيد متي الشيخ، وبين الموقف المركزي رقم ١، وسجن نقرة السلمان، ومعسكر الرشيد... وعرضته شاشة تلفزيون بغداد في لقاء مقتضب ردا على الحملة العالمية التضامنية لاطلاق سراحه وبالاخص الوسائل الاعلامية السوفييتية.

دافع ابراهيم كبة عن ثورة ١٤ تموز امام المحكمة العسكرية بنفسه في وثيقة تاريخية فريدة من نوعها، نشرت فيما بعد في كتاب (هذا هو طريق ١٤ تموز – دفاع ابراهيم كبة امام محكمة الثورة) وحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات مع الاشغال الشاقة ثم اطلق سراحه عام ١٩٦٥ في عفو رئاسي. بعد ذلك عاود كبة التدريس الجامعي في مادة الاقتصاد السياسي – تاريخ الفكر الاقتصادي في جامعتي بغداد والمستنصرية. وبادر ابراهيم كبة بنشر دفاعه عن ثورة ١٤ تموز مجددا عام ١٩٦٦ بسبب استشراء الفكر الرجعي في العراق آنذاك وتزييفه جميع أحداث التاريخ القريب، وتركيزه خاصة على تزييف أحداث ثورة تموز المجيدة في جميع معطياتها وجوانبها المختلفة، وانبعاث جميع حملات الكذب والمسخ والافتراء، التي حاول الدفاع تفنيد المهم منها في الأقل.

في ايلول ١٩٦٦ رفع ابراهيم كبة ومحمد سلمان حسن ومصطفى علي وعبد الوهاب محمود مذكرة الى ناجي طالب (رئيس الوزراء) ابرزت حقيقة الحقائق... وهي ان المسألة الأساسية في الوضع العام في العراق بعد نجاح ثورة ١٤ تموز في دك النظام الملكي الاستعماري وإزالة قشرته السياسية، تمحورت حول المسألة الاجتماعية، أي مسألة الثورة الاجتماعية التي نضجت مستلزماتها الموضوعية اي ديناميكية الصراع الطبقي الاجتماعي، وبالتالي، السياسي، بعد ان كان المحور قبل تموز يدور حول المسألة الوطنية. وفي ١٩٦٨/٨/٣ اي بعد ايام قلائل من الانقلابات البعثية قدم كبة مذكرة للنشر الى صحيفة التآخي.. لكنها ترددت في نشرها بعنوان (نصيحة للحكام الجدد – من اجل حل سلمي لأزمة الحكم في العراق) عرج فيها الى حكم البعث الثاني ومسألة الشرعية وعرض مهمات الحكومة الجديدة والاخطاء التي يجب تجنبها وفكرة المراحل الثلاث: مرحلة الحكم الانقلابي، مرحلة الحكومة الائتلافية المؤقتة، ثم أخيرا مرحلة حكومة الاتحاد التقدمي، وان يباشر الحكام الجدد على الفور ومن دون تلكؤ بأداء مهمات المرحلة الأولى وذلك بإطلاق الحريات الديمقراطية وعلى رأسها حرية النشاط الحزبي للقوى السياسية الفعالة في المجتمع، والإقلاع نهائياً عن مفهوم الحزب الواحد او الحزب القائد، والتخلي عن أسطورة الوصاية على الجماهير او الانفتاح الصوري على بعض القوى الأخرى، وذلك تمهيداً لعقد حوار حقيقي ومفتوح مع جميع القوى المعادية للاستعمار والإقطاع والاستغلال، من اجل صياغة منهاج عام مشترك يكون أساسا لتأليف (جبهة اتحاد تقدمي) تنبثق عنها عن طريق الانتخابات العامة (حكومة اتحاد تقدمي) تتصدى لحل المشكلات الأساسية للبلاد وتقود عملية التطور الاجتماعي والسياسي على وفق المراحل العلمية المعروفة في علوم السياسة والاجتماع. واختتم بـ(هذه نصيحة خالصة أقدمها للحكام الجدد ليثبتوا جدارتهم بتحمل المسؤولية وليقدموا ربما الفرصة الأخيرة لانصار الحل السلمي والمصالحة الوطنية والجبهات العريضة، بعد أن بلغت التناقضات الاجتماعية في قلب المجتمع حدود الانفجار الثوري. إن الفرصة مؤاتية فاغتنموها قبل فوات الأوان و(قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين).

حارب البعث الفاشي ابراهيم كبة وأحاله على التقاعد عام ١٩٧٧ وبذل الجهد لتقزيمه منذ تسلمه السلطة ١٩٦٨ وأرسل له الوفود أفرادا وأفواجا لاستمالته في اعادة كتابة التاريخ العراقي المعاصر من وجهة النظر الصدامية والقومية المتطرفة، واتخاذ مواقف استسلامية خضوعية، والانصياع لمشيئة البعث الفاشي، وتركيع افراد عائلته وتشويه سمعته من دون جدوى. وظل ابراهيم كبة وفيا لمبادئه في الفكر المادي الاصيل والاشتراكي العلمي والماركسي والديمقراطي... وبقي في شيخوخته حبيس الضغوط الدكتاتورية المنهالة عليه من كل حدب وصوب وذكريات الماضي البعيد والقريب وذكرى رفاقه واصدقائه الذين رحلوا وغيبتهم زنازين الاعدام والسجون والنسيان، حتى توفي في الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ٢٦/١٠/٢٠٠٤.

عراقيون

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

ابراهيم كبة مازال حياً

د. عبد العزيز وطبان ×

عندما أقول ان الاستاذ ابراهيم كبة مازال حيا فهذا حقيقة واقعة وليس حلما او مجرد خيال، فحياة الانسان تبقى مستمرة عندما يترك اثرا او معلما او ثروة في حياته. والمقصود بالثروة هنا ليست ثروة مادية فحسب بل ان الثروة العلمية والثروة الفكرية تلك اكثر استمرارية وديمومة في الحياة، وخاصة لمن كانوا ملتفين حولة والمستفيدين من مناهل تلك الثروة. ومن الكنوز الفكرية ما هو اكثر عددا وديمومة من الثروة المادية. فالاستاذ ابراهيم كبة ترك لنا ثروة فكرية كبيرة ستتناقلها الاجيال ويشكرون من تركها لهم. لقد كان الاستاذ كبة كنزا علميا وثقافيا، وعليه لا اعتقد ان اسمه يمكن ان ينسى مادامت المكتبات قائمة، ومادام طالبو العلم يتكاثرون باستمرار، و مادامت الحياة مستمرة.

كان الاستاذ ابراهيم كبة وطنيا مخلصا اضافة الى كونه شخصية اجتماعية بارزة، وفي الوقت نفسه كان موسوعة متنقلة بوفرة معلوماته التي يكتنزها و تعدد اللغات التي يجيدها.

ولأن الاستاذ كبة لا يحتاج الى تعريف، فانني لا اريد ان اكرر وازيد على ماهو معروف عنه عند الكثيرين عدا بعض المعلومات التي تخصني والتي ما زالت باقية في ذاكرتي، وسأعرض هنا بعض الذكريات المتواضعة عن هذا الرجل/ الانسان الذ ي كان رحيله خسارة علمية وفكرية وثقافية وخسارة وطنية.

لقد زاملته من حيث المهنة مدة تقارب الثماني سنوات في جامعة بغداد/كلية الادارة و الا قتصاد و في الجامعة المستنصرية في تدريس نفس المادة التي يدرّسها هو. و لاشك ان الاحداث تنوعت ولم تأخذ طابعا واحدا وذلك بتغيّر احداث الوطن. و للاسف ان الذاكرة لا يمكن ان تحتفظ بتفاصيل الاحداث بعد مرور مدة تجاوزت الـ ٣٢ سنة، اي منذ ان احيل الاستاذ كبة على التقاعد وحتى الان. ومع ذلك لابد من الاشارة الى الكيفية التي تعرفت بها عليه، وكيف حدثت المصادفة ان ادرس نفس المادة التي هو يدرسها و بنفس الكلية. عندما انهيت دراستي في جامعة موسكو و حصلت على شهادة الدكتوراه في عام ١٩٧٠، عدت الى الوطن وقدمت طلبا الى جامعة بغداد/كلية الادارة والا قتصاد. كان عدد الاساتذة العاملين في هذا القسم بحدود ١٧ استاذا على ما اتذكر، ومنهم الاساتذة الدكاترة: خزعل البيرماني و منصور الراوي وعلي البيرماني و خضير المهر ورئيس القسم الدكتور محمد سلمان حسن والاستاذ ابراهيم كبه و حميد القيسي وصلاح العمر وآخرون. وقد اتخذ رئيس القسم من موضوع تعييني موقفا حياديا تماما اذ حتى اثناء التصويت على طلبي امتنع عن التصويت واشرك طلب البعثي المعروف الدكتور حميد الجميلي وطلب ان يكون التصويت على الطلبين دفعة واحدة، وبعد مناقشات حادة تمت الموافقة علينا نحن الاثنين. وهنا لابد من الاشارة الى انه لولا موقف الاستاذ كبة القوي والجاد وكذلك موقف الدكتور حميد القيسي وحماسته لمعرفتي القديمة به وتاثيرهما على الاخرين لرفض طلبي ولكان من الصعب ان تتم الموافقة اذ كنت معروفا اثناء المناقشة كوني شيوعيا. ولم يقف الاستاذ كبة عند هذا الحد، بل استمرت علاقتي به في تبادل الاراء كما زودني بالبرنامج التدريسي الذي كان هو يتبعه واستمرت علاقتنا الى ان احيل على التقاعد عام ١٩٧٧ ونقلي انا من جامعة بغداد الى المؤسسة العامة لتجارة السلع الانتاجية.

من المعروف ان للاستاذ ابراهيم كبة العديد من المؤلفات و البحوث والترجمات اذ لا تخلو المجلات العراقية وحتى العربية منها. وعليه من غير المستغرب ان تدور المناقشات بين الاساتذة حول ما ينشر على صفحات هذه المجلات، وخاصة في مجلتي (الاقتصادي) التي كانت تصدرها جمعية الاقتصاديين العراقيين و مجلة الجامعة المستنصرية. ومعظم هذه المناقشات، وفي كثير من الاحيان، كانت تدور حول ما يكتبه الاستاذ كبة بشكل خاص. ومما يلفت النظر ان اساتذة القسم كانوا متباينين في ارائهم. اقول ان اراء الاساتذة كانت متباينة، وهذا امر بديهي لانهم خريجو جامعات مختلفة، لذلك كانت المناقشات حادة في كثير من الاحيان و غالبا ما تكون اكثر حدة عندما يكون الاستاذ ابراهيم حاضرا. وكما اتذكر، دارت، في احدى المرات، مناقشة اكثر حيوية لان عدد الحاضرين كان كبيرا، وكانت في الواقع تدور حول كتاب مترجم صدر حديثا (١٩٧٢) للاستاذ كبة وكان بعنوان: الرأسمالية نظاما. وليس خافيا ان عددا من الاساتذة كانوا يختلفون فكريا مع الاستاذ ابراهيم، ولا انسى النقاش الذي ربط بين الموضوعات التي تخص النظام الرأسمالي ومؤلفات كبه السابقة- ماهي الامبريالية؟ وكتابه الموسوم: دراسات في تأريخ الاقتصاد و الفكر الاقتصادي. وبديهي ان المتعارضين مع الاستاذ ابراهيم لاتروقهم مثل هذه الكتابات. وكان رد الاستاذ ابراهيم، في كثير من الاحيان شديدا وحازما، وبديهي ان مثل هذه المناقشات كانت تحدث في اثناء الفرص.

ساعدني الاستاذ ابراهيم خاصة كنت بحاجة الى معرفة ماهي المواد التي يدرّسها في محاضراته لأنني كلفت بتدريس نفس المواد في الشعب التي ليست من حصته، بسبب تعدد تلك الشعب حيث كانت تزيد على ١٢شعبة للسنة الاولى، إضافة الى الصفوف الاخرى، و نفس الشيء بالنسبة للجامعة المستنصرية.

كان الاستاذ كبة محبوبا ومحترما الى حد كبير من قبل الاساتذة والطلبة على حد سواء. كما كان شديداً و حازما ودقيقا في تصرفاته، ملتزماً جدا في مواعيده، سواء في حضور الاجتماعات او المحاضرات او حتى إرتباطاته مع طلبة الماجستير والدكتوراه، بالاضافة الى مسألة التصحيح و تسليم الدرجات. و في مواعيد المراقبة ايام الامتحانات كان نظاميا الى درجة الدقة اللامتناهية.كان الاستاذ كبه يلقي محاضراته واقفا وبصوت جهوري.. ولا يستخدم اي ورقة.. واحيانا كثيرة يسترسل بالمحاضرة وينسى الوقت كلياً مما يضطر الطلبة لتذكيره لان عدداً منهم ملتزمون بمواعيد وسائط النقل وخاصة بالنسبة لطلبة الجامعة المستنصرية.

من البديهي ان يحاول بعض الاساتذة الذين يختلفون معه فكريا لايجاد الثغرات للطعن به، ولكن شخصيته المرموقة تجاوزت كل الاقاويل. ولاانسى موقفه من العلاوة التي سميت، في حينه، بعلاوة ذوي الكفاءة اذ كان يردد، وقد ايده عدد من الاساتذة، انه لو كانت الزيادة على الرواتب لكان الامر افضل، لان هذه العلاوة يمكن سحبها في اي وقت وهي للدعاية باي حال من الاحوال.

اثناء عمله التدريسي قدم الاستاذ كبة طلبا لترقيته الى درجة استاذ. وبالرغم من موافقة رئاسة القسم وعمادة كلية الادارة و الاقتصاد رفضت لجنة الترقيات في جامعة بغداد الطلب بحجة عدم اكتمال المدة القانونية، مع العلم ان مؤلفاته المشار اليها تكفي لمنحه اكثر من درجة استاذ.

في عام ١٩٦٩ واثر عودة حزب البعث الى السلطة طلبوا منه و من الدكتورمحمدسلمان حسن الاشتراك في الوزارة الا انهما رفضا الطلب لمعرفتهما بحقيقة حزب البعث وجرائمه عام ١٩٦٣، واعتبرا ان طلب الحكام الجدد هذا ليس سوى محاولة لاضفاء الشرعية لسلطتهم.

غير ان صدام حسين المعروف بحقده لم يغفر للاستاذين كبة ومحمد سلمان حسن ذلك الموقف. ففي عام ١٩٧٧ تم شن حملة بربرية ضد اساتذة الجامعات العراقية من الديموقراطيين بدأها باحالة الاستاذين ابراهيم كبه و الدكتور محمد سلمان حسن. وكانت تلك حملة بربرية اقصائية شنيعة وصلت ذروتها الى حد نقل احد اساتذة الفلسفة في كلية الاداب الى النقل البحري واستاذ في مادة الادب العربي الى وزارة الصحة، واحيل استاذان على التقاعد وهما بعيدان كل البعد عن السياسة.

وخلاصة القول ان الاستاذ كبة بسبب سمعته الطيبة وماقدمه من تراث علمي وثقافي وتخرج الالاف من طلبة الدكتوراه والماجستير والبكالوريوس على يده يجعله حيا ولم يمت. لقد انقطعت اخباره عني منذ عام ١٩٧٩، عدا بعض الاخبار العامة، الا اني فوجئت عندما بلغني نبا رحيله الابدي في ٢٦تشرين الأول ٢٠٠٤ فكان ذلك مفاجأة محزنة، ذلك ان رحيله شكل خساره حقا. ولكني مع ذلك ابقى اتساءل: هل رحل الاستاذ ابراهيم كبة حقا؟ اجيب فورا ودون تردد: كلا.. انه لم يمت ومازال حيا بيننا بما تركه من معرفة علمية ثرة ونتاج علمي كبير.

ان فقدان اساتذة من طراز ابراهيم كبه و محمد سلمان حسن وخزعل البيرماني وصباح الدرة وصفاء الحافظ وغيرهم يعد خسارة كبرى من الصعب تعويضها. لقد كانوا كوادر ثقافية وعلمية مرموقة، وكنوزاً وطنية فكرية، ذلك لان الجامعة تعرف لا ببناياتها مهما كانت عالية ولكن بقامات اساتذتها المعرفية والعلمية.

الذكر الطيب دوما للاستاذ ابراهيم كبة!

× الاستاذ الدكتور عبد العزيز وطبان، استاذ سابق للاقتصاد في جامعة بغداد/ كلية الادارة والاقتصاد والجامعة المستنصرية، وكان زميلا للاستاذ ابراهيم كبة.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

إبراهيم كبة . . قد تنفع الذكرى

د. عصام الحافظ ×

أقتربنا منه، حيث كان واقفا وحيدا في الطرف المشمس من باحة الكلية في يوم ربيعي دافئ، وفي وقت كانت فيه الكلية تشهد " هرج ومرج" رجال أمن ومسلحين، وطلاب يتهامسون ويصوبون انظارهم جهة العمادة حيث كان رئيس الجمهورية آنذاك أحمد حسن البكر في زيارة " مفاجئة " لكليتنا، وكان في تلك اللحظة في حالة أجتماع مع الاساتذة في احدى قاعات الجامعة.

– ناكده، كالعادة ، زميلنا جانيك:

"ها أستاذ شو أنت مارايح ويّ الاساتذة للاجتماع مع الرئيس"؟

– انتفض وبلهجته المميزة:

" خلك عسكري مايعرف غير استاريح واستاعد وجاي يعطي نصائح للاساتذة ، هو شمفهمه بهاي الامور، يعني كان أمامي حلّين أما أن احضر واتصدى له! أو الاحسن لي والاسلم أن لا اشارك في هذا الاجتماع، وهذا مافعلت ".

منذ أن دخل الى قاعتنا في أول محاضرة تأكدنا (من معلوماتنا السابقة) بأننا أمام أستاذ وانسان مختلف عن بقية الاساتذة والمدرسين. إنه من نوع فريد في مواصفاته، رجل دولة وسياسي وقبل كل ذلك وفوقه مفكر ومثقف حقيقي كبير. عندما يبدأ بالحديث يمتلك كل أدواته من الجغرافيا الى التأريخ والدين والفلسفة والاجتماع والاقتصاد، يقرأ ويكتب بأكثر من خمس لغات. تأسرك حججه ومعلوماته، يتوغل في اعقد الموضوعات وأشدها تنّوعا في الرأي ليس عارضا لها وحسب بل ومحلل ومناقش، مبحرا بك في لجة أفكار ريكاردو وادم سمث وتوماس الاكويني وجان باتيست سي ومالثوس وبردون وسيسموندي وكونار وكينز وماركس وشومبيتر وأريك رول ولانكة وعشرات غيرهم. يقودك عبر أهم تيارات تأريخ الفكر الاقتصادي بدأمن الفكر اليوناني، عبر السكولائية والمركانتيلية والفزيوقراط والمدرسة الكلاسيكية والماركسية وصولا الى النظرية الكينزية واللبرالية الجديدة وغيرها. وعلى الرغم من أن كتابه الموسوم: (دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي) يقع في اكثر من ٥٥٠ صفحة الا انه يعتبر (وهو الواقع) انه مجرد ملخصات مكثفة لموضوعات اثيرت في المحاضرات.

لقد كنا والى جانب هذا الكتاب (والذي اعتبرناه آنذاك وخاصة مقارنة بما يقدمه لنا بقية الاساتذة من الكتب الضخمة وفوق الطاقة) كنا مضطرين الى ملاحقة المحاضرة كتابيا من اجل توضيح الكثير مما ورد في الكتاب بشكل مختصر.

نعم، ذلك هو أستاذنا الجليل إبراهيم كبة، الذي كان وقورا وذا شخصية قوية تأسرك بعلمها ودماثة خلقها على عكس الكثيرمن الاساتذه الذين يتصنعون الوقار. والى جانب ثقافته وعلمه، لم يكن هيابا بل قُل كان حادا أن تطلب الامر ذلك ، ولنا في كتابه هذا هو طريق ١٤ تموز الصادر عام ١٩٦٩ خير دليل.

أحد ممثلي الاتحاد الوطني لطلبة العراق (وهو المنظمة الرسمية التابعة للسلطة انذاك) سأله بشأن موضوع تخصيص نسبة من الكتب المطبوعة من الاساتذة للطلبة الفقراء حسب تعليمات جامعة بغداد، فقد كانوا يحبون الهيمنة على كل شيء وأن يجري عبرهم. أجابه متذمرا: لقد اعطيت الكتب لممثل اتحاد الطلبة العام وسيوزعها بمعرفته.

جواب اخرس هذا الممثل وافقده القدرة على الكلام.

مطالع شغوف يلتهم الكتاب بوقت وجيز

في احد الايام وجدناه يقلب كتابا ما في أحدى مكتبات الباب الشرقي (الاقرب الى ساحة النصر ولااتذكر أسمها). بادرناه بالتحية، أجابنا بسرعة وظل مشغولا بالكتاب الذي بين يديه ، عندما غادر توجهنا الى صاحب المكتبة ، والذي كان على معرفة بنا.

– احد الزملاء مخاطبا صاحب المكتبة:

(عمي هاي حتى الاستاذ كبة يشتري منك، مستدركا، بس دير بالك لاتخلي الاستاذ كبة يكلب الكتاب، لانه عندما يكلب الكتاب يعني قرأه وعند ذاك لن يشتريه)، لأنه قارئ سريع يجيد ماتعرف بالقراءة العمودية.

– عقب صاحب المكتبة مازحا: هو كل مايجي يكلب عدة كتب ربما يشتري واحدا وربما لايشتري!

كان من عادة البعض منا وعندما ندرس المادة وضع خطوط تأكيدية تحت أهم الافكار في الكتاب الذي نقرأه. ولكننا وجدنا أنفسنا وعند دراسة مادة (تأريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، اننا نضع تلك الخطوط تحت جميع الاسطر فقد كانت كل جملة لها موقعها في السياق ولايجوز تجاهلها، وتلك ميزة لا تجدها عند غالبية الكتاب والمفكرين العرب، حيث الاطناب والخروج عن الموضوع صفة ملازمة للغالبية العظمى من الكتاب بما فيهم المعاصرون. اما الجملة أو الفكرة المكثفة فنجدها هي السائدة في التأليف الاوربي ان صح التعبير. وبعد سنوات وفي أوربا بدأت انتبه الى أن كتابات كبة تدلنا على أنه كان يفكر بعقلية أوربية أن صح هذا الوصف مبتعدا عن الاطناب والحشو والجمل الاستعراضية والشعارات وغيرها من الاساليب التي تضعف الكتابة الاكاديمية وتضيع هدفها.

في ترجمته لكتاب (أوليفر كوكس): " الرأسمالية نظاما "، يقدم الاستاذ كبة للكتاب بدراسة نقدية عن الكتاب والمؤلف، يناقش فيها آراء وافكار كوكس فيقول مثلا :" لقد قلنا بأن المؤلف يستوحي الكثير من أفكاره إضافة الى منهجه من الفكر الماركسي أساسا، إلا أن تفسيراته للماركسية في بعض الاحيان تفسيرات ساذجة وخاطئة ووهمية ". بل أنه في موقع آخر يوصف الكاتب بأنه وقع في " العيوب الاساسية والخطيرة " الا أنه مع تلك التشخيصات يقدم على ترجمة هذا الكتاب وهو عمل مظنٍ وكبير لأنه يعتبر " أن الفكرة الاساسية للكتاب والتي يتغلغل في جميع تفاصيله، والتي تؤكد الطابع العالمي والشمولي والتكاملي الموحد للرأسمالية، هي فكرة صحيحة تماما، وعلى درجة من الاهمية النظرية والعملية، تجعل من المستحيل الاستغناء عنها في أية دراسة جدية ".

نعم، وبعد كل تلك الملاحظات والعيوب الخطيرة نراه يقدم على ترجمة ذلك العمل، وهذا موقف لايتجسد إلا بالمفكر الحقيقي النزيه المحايد والذي لايرى في الفكر ابيض واسود فقط.

لقد ترك لنا ابراهيم كبة وعلى مدى أكثر من ستة عقود عشرات الدراسات والمقالات، إضافة الى العديد من المؤلفات والترجمات جاوزت الثلاثين في الاقتصاد والقانون والسياسة ومجالات اخرى . كما ترك لنا ارثا مهما في تشكيل العلاقات الثنائية من أجل المصلحة المتبادلة تمثلت في الغاء العلاقات المحددة بكتلة أو معسكر واحد فرضته الهيمنة الاستعمارية آنذاك. فكان وهو أول وزير للاقتصاد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المؤسس للسياسة الاقتصادية الجديدة للجمهورية العراقية والتي اعتمدت على تنويع تلك العلاقات. ففي أقل من عام عقدت نحو ١٢ اتفاقية شملت تقريبا جميع بلدان أوربا الشرقية إضافة الى مصر والهند والصين ويوغسلافيا. لقد غطت تلك الاتفاقيات عشرات البنود السلعية الاستهلاكية والاستثمارية، وذلك بالترابط مع البرامج التنموية في المجال الصناعي والزراعي .

وفي هذا السياق لاننسى المثل الاسمى الذي تركه ابراهيم كبة السياسي كاتب بيان جبهة الاتحاد الوطني، تلك الصفحة البيضاء في تأريخنا المعاصر، ذلك المثل الذي يؤكد القيم التي يجب أن يتحلى بها السياسي وهي قيم أحوج مانكون اليها الان في العراق.

أن تذكرنا هذا لاستاذنا الجليل إبراهيم كبة لا يعّد ذا قيمة عملية مالم يصر الى إعادة حصر ونشر تراثه ومؤلفاته (واننا على استعداد لدعم مثل هذا المشروع بكل الوسائل). لقد امتلك العراق واحدا من كبار المفكرين في عصرنا قد لايقل شأنا عن بول سويزي أو ماكس فيبر أو اميل دورهايم بل حتى كينز، غير ان المشكلة تكمن في أننا لم نتعلم بعد كيف يمكن لنا أن نرفع هؤلاء الاعلام على سارية الوطن نباهي بهم الامم. وربما في هذا تكمن اكبر مآسي تاريخنا المعاصر .

× الدكتور عصام الحافظ، كان احد طلاب الاستاذ ابراهيم كبة في مادة المذاهب الاقتصادية للسنة الدراسية ١٩٧١/١٩٧٠ في كلية الادارة والاقتصاد/جامعة بغداد، كما عمل استاذا للاقتصاد في العديد من الجامعات في بعض البلدان العربية.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

والدي . . ذكريات شخصية

سلام كبة

ابراهيم كبة وعبد الكريم قاسم

× فجر الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، وانا في الرابعة من العمر، لمحت الوالد يسير مسرعا ذهابا وايابا على سطح دارنا في بستان كبة، وسط رشقات من اسلحة اوتوماتيكية في الجانب الاخر من دجلة ... وبعد حديث قصير مع جيراننا أبي جميل (من اسرة كبة ايضا) من فوق السطوح .. طلب الوالد من امي ان تصحبنا الى باحة الدار السفلى وتنتظر افتتاح اذاعة بغداد .. همس الوالد في اذنها :» انها الثورة .. سقط الملك!». هذه اللحظات لا تمحى من الذاكرة .. ونحن نستمع الى نشيد الله اكبر ، وبيان الثورة رقم (١).

× اصطحبني الخال معه الى مطار بغداد الدولي (المثنى حاليا) لاستقبال الوالد بعد زيارته موسكو وابرام الاتفاقية العراقية- السوفيتية لعام ١٩٥٩ التي وضعت حجر الأساس للتطور الاقتصادي اللاحق ولتحويل الصناعة العراقية من مشاريع صغيرة متفرقة الى جيل متكامل من المشاريع الصناعية الثقيلة والمتوسطة والخفيفة لتتكون مشاريع صناعية ستراتيجية مثل معامل الاسكندرية للمكائن ومصنع العدد الكهربائية، ومصنع الزجاج وغيرها، ولا يقل أهمية عن ذلك مشروع المسح الجيولوجي والتحري المعدني الذي حصر الموارد الطبيعية مثل الكبريت والفوسفات والرمل الزجاجي والأطيان الصناعية، واليورانيوم وأن بنسب قليلة. وشملت الاتفاقية مجالات التعاون في الميادين الزراعية والنفطية والصناعية وبحوث الطاقة النووية !.. لم نتمكن من الوصول الى الوالد لأن جماهير الشعب، التي كانت بالآلاف، قد اخترقت الحواجز الامنية واحاطت بالطائرة التي تقل الوالد وهي تهتف « ابراهيم كبة للامام .. ديمقراطية وسلام «.. حينها رفعني الخال على اكتافه لأراه وهو يحيي مستقبليه.

في ساحة الكشافة جلست مع الوالدة والخال في مقاعد الضيوف لمشاهدة استعراض لكشافة وشبيبة انصار السلام ... كان الوالد قد اوصانا بالتزام الهدوء ومغادرة الفعاليات بعد نصف ساعة!.. لقد حضر الوالد بصحبة الزعيم عبد الكريم قاسم وبعض الوزراء الاخرين وجلسوا في المقصورة .. وفي مرأى منا بشكل واضح ! .. بعد دقائق ، ومع انشغال الجميع بالعرض الكشفي، تسللت تدريجيا نحو المقصورة، وعلى بعد امتار من الزعيم اعترضني شرطي حماية فبكيت صارخاً !.. سالني الشرطي : « من تكون ؟ .. اجبته : سلام . .. فرد غاضبا : اين ابوك ؟ .. فأشرت له نحو الزعيم والوالد «. «تصركع» الشرطي وجفل، وحملني باتجاه الزعيم. غضب الوالد كعادته وشرع يؤنبني، لكن الزعيم التقطني واجلسني في حضنه .. وعشرات الصور التذكارية التقطتها الصحف العراقية آنذاك!!

× بعد استقالته، انهمك الوالد باعمال ونشاطات حركة انصار السلام ... وغالبا ما كان يصطحبني معه الى المكتب الرئيسي (قرب ساحة الاندلس وباتجاه ملعب الشعب اليوم).. تركز النشاط على تنظيم آليات عمل الحركة ومنشوراتها. عندها لم تغب عن ذهني اسماء محددة .. الجلبي، التكمجي، عزيز شريف، العبايجي، الجواهري، الماشطة، كوران، بحر العلوم، توفيق منير ... الخ.

× رافقت الوالدة وعمتي مرارا بعد الثامن من شباط الاسود لزيارة الوالد في الموقف المركزي رقم (١) ومعسكر الرشيد .. كنا ننتظر احيانا من الساعة التاسعة صباحا (وفق الموعد المحدد) وحتى الخامسة مساء قبل السماح لنا بمقابلة الوالد .. وفي ساعات الصيف اللاهبة !.. ولم تخلو هذه المقابلات من المفارقات المضحكة - المبكية .. الا ان الوالد تجاوزها بصبر ودراية .. برغم المعاملة القاسية وتغييب اصدقائه ورفاقه في غياهب المعتقلات من دون محاكمات، وحتى اعدام الشهيد الرفيق البطل متي الشيخ امامه في موقف المأمون !!.. « عصر احد الايام بعد الثامن من شباط الاسود وحملات التضامن القوية التي قامت بها وسائل الاعلام العالمي مع الديمقراطيين المعتقلين في العراق وبالاخص مع الوالد (انتشر خبر تصفية ابراهيم كبة في السجن) نادتني الوالدة الى غرفة الضيوف في دار خالنا في تل محمد .. قبلني رجل في مقتبل العمر (عرفت فيما بعد انه الاستاذ الكبير المرحوم عبد اللطيف الشواف)، وكذلك فعلت زوجته .. ووجه الشواف كلمته لي :» والدك رجل عظيم وخالد .. وانت تحمل سماته وسترفع رأسه عاليا !». اهداني الشواف سيارة - لعبة صغيرة !.... رددت مع نفسي « انها صغيرة جدا، ولا يمكن ركوبها «. خرج الاستاذ عبد اللطيف الشواف وزوجته مسرعا من دار الخال وغاب حوالي النصف ساعة .. ثم عاد وقد اشترى سيارة - لعبة يمكن ركوبها وقيادتها ! وقال :» سلام ، انت تستحقها !». وشاء القدر ان نفتقد الاقتصادي الكبير والقانوني المعروف عبد اللطيف الشواف والوالد ابراهيم كبة في تواريخ متقاربة !! ...مفارقة مؤلمة! السياسي والإقتصادي المرحوم عبد اللطيف الشواف وزير الإقتصاد في عهد قاسم هو إبن عم المرحوم اللواء الطبيب محمد الشواف وزير الصحة في حينها !! وبقي المرحومان وفيين لقاسم إلى آخر لحظة من حياتهما. انا لله وانا اليه راجعون ..

× بعد اطلاق سراح الوالد اثر عفو رئاسي في عيد رسمي ١٩٦٥ .. أخذ الوالد يتردد على عيادة الدكتور الطبيب احمد جعفر الجلبي (ابو سلام) في الصالحية مقابل السفارة الايرانية ليلتقي ويجتمع مع الشخصيات الديمقراطية العراقية .. واصطحبني معه اكثر من مرة ! .. علما ان حركة السلم كانت قد عقدت مؤتمرها الوطني الاول في ٢٢ و ٢٣ /٧/ ١٩٥٤ في بغداد في دار احمد الجلبي ولتتعرض لملاحقة السلطات الملكية. في هذه الفترة ايضا وثق الوالد اواصر صداقته مع كل من المرحوم الدكتور محمد سلمان حسن، عبد الوهاب محمود، مصطفى علي، احمد الزنبوري، صلاح خالص، سعاد محمد خضر

× تعلم ابراهيم كبة قيادة السيارة متأخرا.. عام ١٩٦٦ ! . .. ومرة استوقفه شرطي المرور للتأكد من اجازة السوق .. فما كان من الوالد ان نهره ووبخه « انت تعرف مع من تتكلم ؟».. ارتجف الشرطي ورد « العفو ، تفضل استاذ !.»

× عرف الوالد بحزمه واعتداده بنفسه وباسرته. عرفته اول حكومة بعد الرابع عشر من تموز، عرفه الشعب العراقي عن كثب كما عرفه الزعيم قاسم !، عرفه وفد شركات النفط الغربية المفاوض ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، عرفه زعماء العالم في عواصم الشرق والغرب !عرفته جامعة بغداد والأوساط الاكاديمية الغربية، عرفه الاقطاع وعرفته البورجوازية الوطنية والطبقة الوسطى مثلما عرفه الشارع العراقي حتى بعد اطلاق سراحه وعرفه الكادحون والفقراء ! .. عرفته الحركة الوطنية العراقية مثلما عرفه الحزب الشيوعي العراقي .. وعرفته كبة وشعبان بأسرهما وعوائلهما !.

الكلمة التي القتها عائلة الفقيد في حفل تأبينه عام ٢٠٠٤

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

قالوا في إبراهيم كبة

عبد الكريم قاسم، يحيى ابراهيم كبة

× تعليقا على صدور اول قانون للاصلاح الزراعي في العراق في ٣٠ ايلول ١٩٥٨ كتب جاسم الحلوائي اقتباسا من عزيز سباهي " اقترح الوزيران القوميان صديق شنشل و عبد الجبار الجومرد في مجلس الوزراء ان يكون الحد الاعلى ٥٠٠٠ دونم.اما هديب الحاج حمود و طلعت الشيباني (وطني ديمقراطي)فكان رأيهما ١٠٠٠ دونم سيحية(مروية) و ٢٠٠٠ دونم ديمية(مطرية).ورأى ابراهيم كبة ان يكون ذلك ٥٠٠ سيحية و١٠٠٠ ديمية. كان يؤيده في ذلك عبد الرزاق زبير و فريد الاحمر عضوا لجنة وضع القانون،والثلاثة يؤيدون وجهة نظر الحزب الشيوعي.واخيرا صدر قانون الاصلاح الزراعي في ٣٠ ايلول ١٩٥٨ وقد تبنى ١٠٠٠ دونم سيحية و٢٠٠٠ دونم ديمية.لقد تبنى الحزب الشيوعي قانون الاصلاح الزراعي مع تحفظه على الحد الاعلى الكبير للملكية،وعلى تعويض الملاكين الكبار،والزام الفلاحين الذين ستوزع عليهم الارض بدفع تعويض خلال عشرين سنة.ولم يستثن القانون من التعويض حتى الملاكين الخونة والعملاء"" الحلوائي/عقود من تاريخ الحزب الشيوعي-الحزب والقضية الزراعية/طريق الشعب/العدد ٢٠٠٧/٦٣".

× كتب حكمت محمد فرحان حول دورة الضباط الاحتياط للمفصولين السياسيين في السعدية عام ١٩٥٥ ،وهي دورة كان ٩٠٪ منهم من الشيوعيين شكلت ملحمة نضالية للحزب الشيوعي"بلغنا بالحضور الى وزارة الدفاع اوائل شباط ١٩٥٥ للالتحاق بالدورة مع احضار كل منا لحقيبة صغيرة فيها حاجياته مع ماكنة حلاقة بعد ان تم تقسيمنا(المتزوجون في بغداد وعددهم قليل جدا وكان في مقدمتهم الدكتور ابراهيم كبة الاستاذ في كلية التجارة والدكتور فيصل السامر الاستاذ في دار المعلمين العالية والشاعر عبد الوهاب البياتي مع حوالي العشرين من مختلف الوظائف والاختصاصات"حكمت محمد فرحان/ ذكريات عن نضالات الشيوعيين/ دورة الضباط الاحتياط للمفصولين السياسيين في السعدية عام ١٩٥٥/ طريق الشعب/العدد ٢٠٠٧/٥٠".

× في دراستها المعنونة"الاعداد الجسور للنصر: العراق في الثورة ١٩٤٦-١٩٥٩" كتبت آنا الكسندرا "لماذا كان الحزب الشيوعي العراقي قاب قوسين او ادنى من تسلم الحكم،ومع ذلك لم يفلح؟الدور الحاسم لعبته القيادة السوفييتية.فقد غادر موسكو مرسلا عام ١٩٥٩ لابلاغ قيادة الحزب الشيوعي العراقي بعدم التعويل على اي دعم من الاتحاد السوفييتي اذا ما تسلم الحزب السلطة آنذاك.ورغم ضغط موسكو على الحزب،تدارس المكتب السياسي امكانية اقصاء عبد الكريم قاسم وأصر البعض على اهمية الاعداد للنصر وتسلم الحكم سريعا.بقيت المعضلة الاساسية التي واجهها الحزب هي نفسها تلك التي برزت عام ١٩٥٨،فالحزب لم يعد نفسه سياسيا لمثل هذا الاحتمال-الكفاح.لقد عبأ الحزب مئات الآلاف من العمال والفلاحين تحت شعار اتحاد الشعب وليس خلف شعارات ومصالح طبقية محضة.وبدل العمل الحثيث لتعميق المضمون الاجتماعي للكفاح الوطني،بذل الشيوعيون الجهد النشيط لتلطيف الاجواء وتقليل حدة التوترات الطبقية.وعندما رفع عبد السلام عارف شعار تأميم النفط العراقي،كان ابراهيم كبة وزير الاقتصاد هو من طمأن شركات النفط الغربية ان رساميلهم الاستثمارية هي بأيد أمينة"."آنا الكسندرا/ الاعداد الجسور للنصر:العراق في الثورة ١٩٤٦- ١٩٥٩/مجلة الدولية الاشتراكية- صيف ٢٠٠٣/العدد ٩٩".

× كتب المحامي عبد الرحمن اسماعيل قلو عضو منظمة (محامون بلا حدود) لقد رحل رجل السياسة والإقتصاد،الرجل المتواضع الذي لم يساوم على مبادئه اطلاقا وانما ظل ماركسيا بافكاره ومبادئه ومنحازا بمواقفه إلى جانب الطبقة العاملة والكادحين في العالم. لن ننسى أبدا تلك الشخصية الوطنية الفذة في دعم قضية عمال شركات النفط الاحتكارية العاملة في العراق،عندما كان وزيرا للاقتصاد بعد انتصار ثورة ١٤ تموز المجيدة عام ١٩٥٨ وكانت وزارته ذات العلاقة بشركات النفط آنذاك. في شهر نيسان من عام ١٩٥٩ كنت عضوا في الوفد المفاوض مع شركات النفط في بغداد باعتباري نائبا لرئيس المكتب المركزي للنقابة وكان الزميل (آرا خاجادور) يرأس الوفد المفاوض بصفته رئيس المكتب المركزي ومعنا أعضاء آخرون والمحامي خالد عيسى طه بصفته مشاورا قانونيا للاتحاد العام لنقابات العمال،وكانت مهمتنا التفاوض مع وفد لشركات النفط برئاسة الدكتور الاقتصادي(ستروبس)الهولندي الجنسية وزميله(فان هوت)وأحد مدراء الشركة من الانكليز والمشاور القانوني للشركة وآخرين،وكان جدول المفاوضات يتضمن زيادة وتعديل الأجور والمخصصات لجميع العاملين في شركات النفط،لقد حاولت شركات النفط التساوم مع الوفد المفاوض لنقابة النفط،الا انها فشلت!فلجأت هذه المرة الى الوزارات المعنية وطلبت منهم وضع العراقيل امام وفد النقابة المفاوض لقاء قيامها بمنح العاملين لديها الزيادات والمخصصات المناسبة دون اللجوء الى المفاوضات مع الوفد النقابي وقد اقتنع الوزراء المعنيون بهذا المقترح باستثناء الاستاذ الراحل ابراهيم كبة الذي كشف لنا تلك اللعبة وأشار الينا بالكتابة في الصحف لفضح تلك المخططات اللئيمة وكان يصرح لنا مرارا بأنه سيبقى الى جانبنا في هذه المفاوضات الى النهاية. وفي بداية شهر آذار ١٩٦٠ والمفاوضات مستمرة قدم الى العراق من هنغاريا/ بودابست السكرتير العام لاتحاد نقابات العمال العالمي السيد(مكليسكي)وهو مواطن سوفييتي يتقن اللغة الفرنسية الى جانب لغته الروسية،وكان قدومه الى بغداد بدعوة من نقابة النفط وخلال اقامته وضعت النقابة برنامجا له لزيارة حقول النفط في كركوك والبصرة وعين زالة ومصفى الدورة،وقبل مغادرته العراق حصل لقاء بينه وبين الوزير الراحل وقد رافقنا في أثناء زيارة الوزير الزميل النقابي(حنا قلابات)من نقابة المصارف كمترجم بين الضيف والوزير،الا أنه اتضح لنا عدم الحاجة لمترجم لأن الوزير الراحل كان يتقن عدة لغات أجنبية بينها اللغة الفرنسية التي تحدث بها الضيف الزائر مكليسكي.بعد الانتهاء من زيارة الوزير غادرنا مقر وزارة الإقتصاد وقد أوصانا الضيف مكلسكي أن نحافظ على هذا الوزير لأنه(عملة نادرة).في اليوم التالي غادر ضيفنا بغداد عائدا الى بودابست،وفي المساء كنت قد حضرت أمسية سياسية أقيمت في نادي الفقير بالعلوية حضرها قائد كردستان الراحل الملا مصطفى البارزاني وكذلك رئيس محكمة الشعب العقيد فاضل عباس المهداوي،والمدعي العام ماجد محمد أمين ومرافق الزعيم عبد الكريم قاسم وصفي طاهر،واثناء الأمسية اذاع راديو بغداد خبر اقالة الوزير ابراهيم كبة،وعند سماعي الخبر توقعت أن تكون جلسة المفاوضات مع وفد شركات النفط لليوم التالي صعبة بسبب اقالة الوزير.في اليوم التالي ذهبنا الى مديرية العمل العامة حيث تعقد جلسات المفاوضات تحت اشراف المدير العالم تقي عبد الهادي وقد سبق حضورنا حضور الوفد المفاوض

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

للشركة وكانت الأحاديث تدور حول اقالة الوزير وكيف أن شركات النفط تعتبر الاقالة نصر لها،وللتأكيد فعندما دخل الوفد المفاوض للشركات حيا الحاضرين وبعدها التفت الينا رئيس الوفد الدكتور ستروبس وخاطبنا بالإنكليزية(كيف محراركم اليوم؟) وهو يعني اقالة الوزير حتما قد تركت أثرها السيئ في نفوسنا باعتباره كان الى جانبنا في هذه المفاوضات.قدمنا احتجاجا ضد رئيس وفد الشركة لعبارته الاستفزازية وطلبنا من المدير العام تقي عبد الهادي ابلاغ رئيس وفد الشركة بهذا الاحتجاج والتراجع عن عبارته مع الاعتذار،ففعل قائلا (اسحب كلامي وأعتذر)!.بعد الانتهاء من المفاوضات كنت قد حضرت مؤتمر اتحاد نقابات النفط في بولندا وبعد اللقاء بالسكرتير العالم (مكلوسكي) قال لي استغربت عند سماعي خبر اقالة الوزير ابراهيم كبة،فما السبب؟ قلت له:ان السبب يعود إلى مواقف الوزير الوطنية من تصرفات شركات النفط الضارة بمصلحة الشعب العراقي ووقوف الراحل الى جانب عمال النفط!كان الراحل انسانا عادلا ووطنيا صادقا ومن رجال الإقتصاد والسياسة البارزين،خدم شعبه ووطنه باخلاص ونزاهة ولهذا ستبقى ذكراه الطيبة في قلوب اصدقائه ومحبيه والى ابناء اسرته العزاء والصبر".

× كتب كومراد مدريسوف"من الامور التي يجب التوقف عندها ان عبد الكريم قاسم ورغم دعم الشيوعيين له نظر اليهم بعين الشك مقتنعا انه في حال تحالفه معهم سيخسر الكثير من هيبته وستعزل فئات اجتماعية واسعة من ابناء الشعب.ولم يجر منح اجازة اصدار الصحيفة المركزية للحزب الشيوعي العراقي"اتحاد الشعب"الا اواخر كانون الثاني ١٩٥٩.لم يكن قاسم ميالا لتولي اي من الشيوعيين المسؤولية في حكومته او في مواقع اتخاذ القرار،الا انه على كل حال عهد لكل من ابراهيم كبة ونزيهة الدليمي مناصب وزارية،وهما من مناصري الحزب الشيوعي العراقي يؤكد امير الحلو في دراسته"الى استاذي الراحل (ابراهيم كبة) صاحب فكر ثائر ورحيل صامت"انه قد لفت نظره ان يقوم كاتب تقدمي بطرق مواضيع مهمة حول البراغماتية والاوليغارشية والتوتاليتارية والنفط العراقي قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ذلك الوقت الذي كان يحرم فيه نشر الفكر الوطني والتقدمي،وعندما قامت الثورة اصبح كبة وزيرا للاقتصاد.لقد تعرضت السياسة الاقتصادية للاستاذ كبة الى (تهجمات)القوى المعادية للنظام آنذاك وبالأخص حول الاتفاقيات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي،وتركزت الانتقادات حول الادعاء ان المصانع التي جرى شراؤها كانت مستعملة او اقل كفاءة من الانتاج الغربي،وان التعامل جرى بسعر صرف الروبل السوفيتي الرسمي في حين ان سعره يختلف في الاسواق العالمية(لا تستطيع دولة ان تتعامل مع دولة اخرى الا بسعر الصرف الرسمي لعملتها)."امير الحلو/الى استاذي الراحل(ابراهيم كبة)صاحب فكر ثائر ورحيل صامت/الصحف العراقية والانترنيت".

× كتب الدكتور مصدق الحبيب استاذ الاقتصاد في جامعة ماسجيوستس/ الولايات المتحدة الامريكية"كان ابراهيم كبة موسوعيا وعميقا في معلوماته،علميا وموضوعيا في تحليله،دقيقا في تنظيمه،حازما في ادارته،حريصا على وقت طلابه،عادلا في تقييمه،حاذقا في تقديره،حكيما في كلامه،مثمرا في جهوده،كريما ومتسامحا ودمثا في خلقه.انني فخور كل الفخر ومعتز وافر الاعتزاز ان اقول بانني تتلمذت على يديه في كلية الاقتصاد بجامعة بغداد في اوائل السبعينيات،وكانت مواد تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي التي درسها الاستاذ كبة بكفاءة عالية الذ وامتع وانفع مادرست خلال كل حياتي الدراسية الطويلة،فكان لشخصه ومنهجه العلمي ابلغ الاثر في توجهي نحو اكمال دراستي العليا في الاقتصاد. وليس من المغالاة ان اقول ان كل ما اعرفه وما تعرفه اجيال كثيرة من زملائي الاقتصاديين العراقيين عن هيكل وديناميكية الفكر الاقتصادي الرأسمالي والماركسي يعود بالدرجة الاولى الى تأثير ابراهيم كبة،فهو الرائد الاول الذي سبر اغوار هذا الحقل من المعرفة في العراق خصوصا والوطن العربي عموما،ومنح معرفته الواسعة باخلاص وتفان لكل من سعى اليها"" الدكتور مصدق الحبيب/رسالة التعزية الموجهة الى سلام كبة/٢٠٠٤"

× كتبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي"كان الفقيد ابراهيم كبة علما بارزا من اعلام الفكر في العراق والوطن العربي ومربيا اكاديميا تخرج في مدرسته المئات من حملة افكار الاشتراكية،ومناضلا صلبا من اجل الحرية والتغير والتقدم.وعندما اصبح،بعد ثورة١٤ تموز المجيدة،وزيرا للاصلاح الزراعي أرسى أول قانون للاصلاح الزراعي مايزال واحدا من أبرز معالم ثورة تموز وانجازاتها. وسنظل نحفظ للفقيد انه بقى لصيقا بكل العاملين من اجل تحرر العراق وتقدمه،وفيا لمثله وافكاره،مدافعا لا يلين عنها برغم اضطهاد العهود المتعاقبة.وسيظل شعبنا يتذكر باكبار وقفته الشامخة في الدفاع عن ثورة ١٤ تموز ومكاسبها في محاكم الجلادين بعد انقلاب شباط ١٩٦٣.ان شعبنا وهو يخوض معركته الحاسمة اليوم من اجل عراق حر ديمقراطي كامل السيادة منفتح على افاق التحول الديمقراطي الاشتراكي سيظل يستلهم افكار الراحل الكبير ومسيرته""المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي/ التاريخ: ٢٨ تشرين الاول ٢٠٠٤"

× كتب الدكتور عصام داود استاذ الاقتصاد في جامعة ليكيهيد/كندا"كان لابراهيم كبة عميق الاثر على بلورة شخصياتنا كطلاب علم منذ دراستنا الجامعية.سنبقى خير خلف لخير سلف مادمنا نمتلك الحزم والقدرة على هضم المعرفة ونقبل تحديات الكفاح في سبيل مستقبل افضل للانسانية.كان ابراهيم كبة شجاعا ولم يساوم مطلقا على مبادئه""الدكتور عصام داود/رسالة التعزية الموجهة الى سلام كبة/١٦ نيسان ٢٠٠٥"

× كتبت الدكتورة سعاد خيري"لابراهيم كبة احباء لايمكن ان ينسوا مواقفه الوطنية الرائعة ومساهماته القيمة في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي. ستبقى الاجيال العراقية تمجد ما قام به وما تركه من آثار في تاريخ العراق وسطرتها كتب التاريخ وذاكرة الجماهير الحية.ان شخصيات تاريخية كالاستاذ ابراهيم كبة لن تموت ولا تحتاج للترحم بل ستبقى حية تنور سماء العراق والانسانية بما قدمته من افكار ومواقف ودراسات هادية في احلك الظروف واقساها،وستبقى هادية طالما بقيت علاقات الانتاج الرأسمالية بكل قوانينها وتناقضاتها وجرائمها بحق البشرية سائدة"" الدكتورة سعاد خيري/رسائل التعزية الموجهة الى سلام كبة/١٢ آذار ٢٠٠٥ و١٨ تشرين الاول ٢٠٠٥"

× كتب الدكتور وليد ناجي الحيالي رئيس الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك"سيبقى الراحل ابراهيم كبة كما كان أستاذنا وأستاذ جيل كامل تتلمذ على يديه الكريمتين ونهل من علمه وأفكاره النيرة الشئ الكثير حيث بصماته ما زالت حية فينا من خلال ما تركه الراحل الخالد دينا في أعناقنا وأعناق جيل باحثينا وأكاديمينا""كتاب الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك الموجه الى الدكتور كاظم حبيب/التاريخ:١١ كانون الثاني ٢٠٠٦/الرقم:١١س٠١"

× كتب الدكتور كاظم حبيب"تميزت كتابات الأستاذ الراحل ابراهيم كبة بغنى المعرفة والفكر النقدي المتقد والتحليل العلمي الدقيق للوقائع والأحداث والبحث الاقتصادي المتسم بالعمق والوضوح والبساطة.كما تميزت حياته السياسية بالحيوية والدفاع عن مصالح الشعب والكادحين منهم على نحو خاص""نداء الى طلبة وزملاء وأصدقاء الراحل العالم الجليل الأستاذ ابراهيم كبة/ برلين في ١٣ شباط ٢٠٠٦"

× بمناسبة اكمال"الثقافة الجديدة"عامها الرابع والخمسين كتبت طريق الشعب في عددها رقم ٩٧ عام ٢٠٠٨ "صدرت المجلة اول مرة عام ١٩٥٣ باسم الطليعة كمجلة فكرية علمية صاحب امتيازها مهدي الرحيم،تحول اسمها الى "الثقافة الجديدة" وساهم في ظهورها اول مرة،مهدي الرحيم،خالدة السعيدي،صلاح خالص،صفاء الحافظ،عبد الرحيم شريف،ابراهيم كبة،فيصل السامر،عبد الملك نوري،محمود صبري،عبد الرزاق عبد الواحد،يوسف العاني،وشاكر خصباك وغيرهم.وتعرضت الى التوقف لأسباب سياسية حتى انتظم اصدارها منذ عام ١٩٦٩ وطوال سبعينيات القرن الماضي.وبعد عام ١٩٧٩ صدرت من خارج العراق،وعاودت من بغداد بعد نيسان عام ٢٠٠٣""طريق الشعب/العدد ٢٠٠٨/٩٧/ص(١)"

× يذكر الدكتور فيصل الصراف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ان"المنظومة الفكرية والثقافية للبعث فاشية الامر الذي سمح لجلاوزتهم اهانة اعلام العراق.اثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ اهانوا الدكتور عبد الجبار عبد الله اول رئيس لجامعة بغداد في المعتقلات واجبروه على تنظيف مرافقها،اهانوا العالم الجليل ابراهيم كبة!"" فيصل الصراف/ ندوة حول جرائم النظام البعثي ١٤-٤-٢٠٠٨/ برنامج فضاء الحرية/قناة الفيحاء الفضائية"

رمز كبير للأستاذ أو المعلم في العراق

د. حسن بدر ×

ابراهيم كبة رمز كبير للاستاذ أو المعلم في العراق. درستُ على يديه مادة (تاريخ الفكر الاقتصادي) في العام الدراسي ١٩٧٠-١٩٧١. وإ ضافةً إلى المادة، فقد تعلمتُ الشيء الكثير والمهم عن المنهج الماركسي في تناول قضايا المجتمع والطبيعة. ونظراً للشمولية والموضوعية التي كانت تميّز طريقة التدريس لدى الاستاذ ابراهيم كبة، فقد تعلمتُ ايضاً الشيء الكثيرعن المناهج الاقتصادية الأخرى أو ما كنا نسميه، حينذاك، المنهج البرجوازي. وضمن هذا الاطار، تعلمَ طلبة الاستاذ كبة منهج الاقتصادي وعالم الاجتماع الامريكي-النمساوي جوزيف شومبيتر بحكم إن عمل هذا الأخير في حقل التحليل الاقتصادي هو أحد أهم المراجع الغربية لمادة تأريخ الفكر الاقتصادي.

كتبَ الأستاذ كبة الكثير من المراجع المهمة، ولكن أهمها هو عمله (تأريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي) الذي وضعه في بداية السبعينيات من القرن الماضي. وهذا الكتاب ضخم من حيث الحجم ويتميز برجوع المؤلف إلى المراجع بلغاتها الأصلية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها من اللغات التي كنت أسمع إن الأستاذ كبة يجيدها. ولكن برغم ضخامته، فهذا الكتاب لا يتضمن سوى الخطوط الرئيسية للموضوعات التي يتناولها. أما التفاصيل، الغنية بالأمثلة والتواريخ والشخصيات، فترد في محاضرات الأستاذ كبة التي يلقيها على طلبة السنة الثالثة في قسم الاقتصاد بكلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد. تمتاز هذه المحاضرات بكثرة التفاصيل وباسلوبها الشائق أيضاً مما كان يضمن انشداد الطلاب من بداية المحاضرة وحتى نهايتها للأستاذ دون ضجر ودون إحساس بمرور الوقت. ولذلك ليس غريباً أن تكون الغيابات في هذه المادة قليلة نسبياً (بالمقارنة بالمواد الأخرى). وإذا كان إعجاب الطلبة اليساريين وذي الميول اليسارية بمحاضرات الاستاذ كبة أمراً متوقعاً وطبيعياً (وهوإعجاب يشمل الأساتذة اليساريين الآخرين) فإن إعجاب عموم الطلبة كان يقتصر على الأستاذ كبة وعدد محدد من الأساتذة المقتدرين فقط.

ومن الأعمال التي ترجمها الأستاذ كبة كتاب:(انهيار نظرية الرأسمالية الموجهة)، الذي أفاد الكثير من الدارسين، حينذاك، في تفهم الطابع الدوري للأزمات التي يتعرض لها النظام الرأسمالي (وعملية التطور الرأسمالية عموماً) ومدى قدرة التنظيم والتوجيه في منع انهياره. وفي حقل عرض الكتب، كان أنفع ما يقدمه الأستاذ كبة هو كتاب الشهر، حيث يقوم الأستاذ كبة بترجمة وعرض وتقديم كتاب معين مرة كل شهر في مجلة الاقتصاد التي كانت تصدر عن وزارة الإقصاد. وضمن هذه النقطة، قام كبة، عام ١٩٧٣، بعرض الكتاب المهم للاقتصادي البولندي الكبير (كاليتسكي)، الذي عاصرَ وزامل الاقتصادي المعروف (جون مينارد كينز) وساعده في ابحاثه. وقد كان لعرض هذا الكتاب فائدة كبيرة لطلبة ماجستير الاقتصاد (كلية الادارة والاقتصاد) ضمن دراستهم لنموذج التنمية الرأسمالية في ذلك الوقت.

وأخيراً، فالأمر الذي كان يحّير كاتب هذه السطور هو التساؤل عن إحجام الأستاذ الكبير ابراهيم كبة عن توظيف معارفه الواسعة والغنية (الاقتصادية وغير الاقتصادية) في تناول قضايا النمو والتنمية والتخلف في بلدان العالم الثالث، على غرار ما كان يفعل أكثر المفكرين الكبار في العالم، الذي كان الأستاذ كبة أحدهم بكل جدارة وحق.

× الدكتور حسن بدر، أحد طلبة الأستاذ ابراهيم كبة في مادة المذاهب الاقتصادية للسنة الدراسية ١٩٧٠/١٩٧١ في كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة بغداد، ثم اصبح لاحقا استاذا للاقتصاد في العديد من الجامعات، اضافة الى قيامه بترجمة العديد من الكتب الاقتصادية الكلاسيكية ومنها اعمال الاقتصادي المشهور شومبيتر.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

الحياة الحزبية في العراق

ابراهيم كبة

كلمة تمهيدية: يتطلب أي بحث عن الحياة الحزبية في أي بلد ما البحث عن الإمكانيات الاجتماعية في ذلك البلد ،من جهة،باعتبار أن الحزبية عمل اجتماعي خالص هدفه تحقيق حاجات اجتماعية معينة لمجموعات اجتماعية معينة بالوسائل الاجتماعية المتوفرة. ويتطلب من جهة ثانية دراسة الظروف الداخلية والخارجية المتصلة بالأمكانيات المذكورة.وبالنظر الى سعة الموضوع وتشعبه ،فأراني مضطرا بطبيعة الحال الى الاكتفاء بذكر النقاط الرئيسية في الموضوع ،مع تأجيل بعض المواضيع الأساسية المتصلة بالحياة الحزبية في العراق الى فرصة أخرى وخاصة " الحياة النقابية " ودراسة " النظام الأقطاعي ".

وسيقسم الموضوع الى ثلاثة أقسام :الأول منها يبحث عن مستلزمات الحزب بوجه عام.والثاني عن الأمكانيات الاجتماعية الحزبية في العراق.والأخير منها عن شروط الحزب المطلوب.

القسم الأول
مستلزمات الحزب بوجه عام

لابد للحزب لضمان فعاليته ونجاحه من العناصر الأساسية الآتية :

• النظرية العلمية الشاملة

لا يمكن في هذا المجال التكلم في جوهر النظرية العلمية من الوجهة الفكرية الخالصة ، وسأكتفي بذكر أهميتها من الوجهات العملية المتصلة بحياة الحزب الفعلية وفعاليته في الميدان العملي. فهي أولا : تضمن دوام الحزب لأنها تضمن دوام منهاجه، وشمول حلوله التفضيلية.أما إذا خلا الحزب من نظرية علمية شاملة على ضوئها يحدد مبادئه المباشرة وبرامجه العملية ،وبموجبها يفسر الحوادث التفصيلية المحيطة، فتصبح أغراضه محدودة بطبيعة الحال وتنتهي حياته باستنفاد هذه الأغراض.

وهي ثانيا ؛ تضمن إيجابية أهداف الحزب. لابد لنجاح الحزب وفعاليته من أهداف إيجابية ، أي لابد له من حلول ايجابية للمشاكل الاجتماعية المختلفة بتفاصيلها ، ولن يعيش حزب اقتصرت أهدافه على السلبية.ولنأخذ مثلا على ذلك : حزب الاستقلال الآن ؛ إن نظرة واحدة الى منهاج هذا الحزب توضح انه موضوع لغرضين سلبيين . الأول / محاربة الاستعمار . والثاني / مكافحة التقدمية ، وخاصة الشيوعية ، وليس لدى الحزب فكرة واعية عن ارتباط الهدف الأول بالمشاكل الاجتماعية القائمة في العراق ؛ ولهذا فليست لديه حلول ايجابية محددة للمشاكل المذكورة.مثل هذا الحزب لا يمكن ان يعيش مدة طويلة وان يساير الحياة الاجتماعية المتطورة ، لأنه سلبي في اتجاهاته ، والسلب لا يمكن ان ينتج شيئا.

وهي تضمن ثالثا :الانسجام في القيادة .وهو من أهم العناصر اللازمة لفعالية الحزب ونجاح سيره في ميدان العمل ، خاصة في المراحل الأولى من العمل الحزبي، ولا يمكن للقيادة ان تنسجم انسجاما فكريا حقيقيا ما لم يؤمن عناصرها بنظرية علمية عامة واحدة.ومن المؤكد ان عدم توفر هذا العنصر يؤدي عاجلا أو آجلا الى الانقسامات في القيادة وظهور ما يسمى عادة بالأجنحة في البداية ثم الانفصال التام في النهاية.ولا شك ان عدم توفر هذا العنصر كان السبب الرئيسي لظهور الاختلافات الأساسية في قيادة الحزب الوطني الديمقراطي الى جانب عوامل أخرى سيأتي ذكرها في حينه . وقد بدأت هذه الاختلافات أيضا تظهر في حزب الاستقلال وان كانت لم تخرج لميدان الفعل بعد!

وهي تضمن أخيرا الانسجام وعدم التناقض في المناهج الحزبية وفي الحلول التفضيلية : ان النظرية العامة تكمن وراء حلول الحزب التفضيلية وتوحي بجميع وجهات نظر الحزب في المسائل المختلفة وتملي بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الحزب وسائله في العمل ،ولاشك ان الحزب الذي لا يستند لنظرية اجتماعية شاملة سرعان ما يظهر التناقض واضحا في حلوله العملية وفي نفس مبادئه النظرية.ولنأخذ مثلا على ذلك من حزب الاستقلال .فقد أقر منهاج هذا الحزب في احدى مواده الأولى بصراحة انه لا يعتقد بوجود الكفاح الطبقي وانه يؤمن بالعكس بوحدة الأمة وتضامن طبقاتها.وواضح ان حشر هذه النظرية في صلب المنهج كان المقصود به توجيه الأنظار الى محاربة الحزب لمبادئ الشيوعية.ثم عاد فوضع الحزب في اكثر حلوله التفضيلية لمشاكل العمل والأرض والأقطاع حلولا مستمدة من الأشتراكية الغربية – reformisme – ذاكرا بصراحة ان غرض الحزب القضاء على التناقض الطبقي وتخفيف حدة الكفاح والنزاع بين الطبقات في العراق .وواضح من ذلك ان الحزب يفترض في هذه الحلول وجود التنازع الطبقي ويسلم دون شعوره به ويحاول بالوسائل الأشتراكية الإصلاحية المغلوطة التخفيف من حدته ، مجاريا في ذلك التيار الشعبي اليساري الجديد في العالم.

• طبقية الحزب (استبعاد الأيديولوجية التوفيقية)

ان طبقية الحزب نتيجة طبيعية بديهية لطبقية المجتمع في المجتمعات الطبقية القائمة. ولما كانت وظيفة الحزب تحقيق حاجات اجتماعية معينة (طبقية بالضرورة)كان لابد لسلامة العمل الحزبي من تبني مصالح طبقة من الطبقات القائمة والعمل على تحقيق حاجاتها ومصالحها بالوسائل العلمية. هذا وان طبقية الحزب حقيقة واقعة فعلا في جميع الأحزاب ولا يمكن لأي حزب ما أن يكابر ويدعي التحلل من السير ضمن المصالح الطبقية.ومن هنا نفهم تضليل جميع الأحزاب التي تدعي السمو فوق المصالح الطبقية والتعبير عن مصالح الأمة كمجموعة واحدة.وقد ثبت لدينا كما هو معلوم إن الأحزاب التي ادعت هذا الادعاء – ولا تزال تدعيه – سواء أكانت أحزاب اليمين ، أي الأحزاب التي تسمي نفسها القومية على اختلاف اضرابها والوانها وصورها، أو احزاب اليسار التي تدعي انها تقف موقف الوسط بين اتجاهي التطرف لليمين أو لليسار، ثبت لدينا انها جميعا في حقيقة الأمر أحزاب طبقية صرفة : الأولى منها احزاب القوى الرجعية المباشرة ؛ والثانية منها احزاب القوى الرجعية غير المباشرة ، واحيانا احزاب البورجوازية الصغيرة المتعلقة بحكم مصالحها بأذيال الطبقة الحاكمة. وعليه فلابد للحزب اذن من تبني فلسفة طبقية صريحة خالصة . ولكن لا يعني ذلك ان الحزب الطبقي لا يتبنى أحيانا كوسيلة من وسائله العملية أي من وسائله (التكنيكية) مصالح بعض

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

الطبقات الأخرى.كما انه لا يعني ذلك ان الحزب يستبعد من أهدافه الرئيسية أحيانا ووسائله المهمة حماية مصالح الطبقات الأخرى في بعض المراحل الاجتماعية التي تتوحد فيها مصالح الطبقات المختلفة في بعض النقاط المهمة. وسنرى ان لهذه النقطة أهمية خاصة في العمل الحزبي في العراق.

ويستلزم هذا العنصر ، أي طبقية الحزب (القيادة الطبقية أيضا) ، أي اختيار القيادة من عناصر الطبقة التي يعبر الحزب عن مصالحها ويتبنى فلسفتها.ولكن بالنظر لضرورات خاصة في أدوار اجتماعية خاصة تتصل بالوعي العام الطبقي، قد تدفع الضرورة الى تسلم عناصر طبقية أخرى لا تنتمي للطبقة المذكورة القيادة الحزبية وعندئذ لابد لهذه القيادة الشاذة في طبيعتها الطبقية ان تتبنى فلسفة الطبقة المذكورة لضمان نجاح العمل الحزبي .وقد مرت جميع الأحزاب الماركسية في هذه المرحلة بالواقع.

• شعبية الحزب (أي اعتماده على الجمهور)

المقصود بهذا العنصر جعل قاعدة الحزب على كل حال وحتى قيادة الحزب بالتدريج ان أمكن من الجمهور وعدم قصر الحزب على عناصر الطبقة المثقفة فقط.ان هذا العنصر هو من أهم مستلزمات فعالية الحزب واهم مقاييس جديته في العمل في الحقيقة. ولا يمكن هنا الا الإشارة لبعض النقاط العامة التي توضح أهميته البالغة.

أ – فهو الضمان الوحيد لعدم امكانية القضاء على الحزب أي الضمان الوحيد لاستمراره و دوامه. ان الحزب الذي يعتمد على الجماهير يصعب حله رسميا لمخافة الجماهير من جهة ..كما ان حله رسميا لا يستتبع موت الحزب وشل فعاليته في ميدان العمل ..اذ ما ينتج عن هذا الحل هو انتقال الحزب من ميدان العمل والتنظيم العلني الى ميدان العمل السري. ب – كذلك يضمن هذا العنصر مراقبة القيادة وعدم امكانية انحرافها عن اتجاهات الحزب العامة ، أو الاضرار بالمصالح الطبقية التي تمثلها. وفي تاريخ العراق الحزبي أمثلة على ذلك ! اذ لو كان حزب الإخاء الوطني حزبا شعبيا يستند إلى قواعد من الجمهور لما أمكن لرئيسه (ياسين الهاشمي) ان يعمل على حله رسميا بحجة استنفاد الحزب أغراضه الأساسية بعقد معاهدة ١٩٣٠ . كما ان كثيرا من التصرفات الشاذة التي قامت بها قيادة الحزب الوطني الديمقراطي خلال السنتين الأخيرتين خاصة ما يتصل منها بأخراج العناصر اليسارية من الحزب ، لم يكن من الممكن حدوثه لو كانت للحزب قواعد حقيقية من الجمهور. ج – وهذا العنصر أيضا أهم الضمانات بل هو الضمان الوحيد في الحقيقة لفعالية الحزب في العمل لسببين(١) ان احزاب المثقفين عامة لا يمكنها ان تنشط في ميدان العمل الا بوسائل المثقفين ، وهي وسائل محدودة من الوجهة العملية لا تخرج عن نطاق الإقناع بسائر ضروبه وتعبيراته. ولعل تجربة الأحزاب في وزارة أرشد العمري ووزارة نوري السعيد خير دليل على ذلك. اذ بالرغم من قسوة الانتقادات التي وجهتها الأحزاب (خاصة اليسارية منها) للحكومتين المذكورتين ، وشدة حملاتها عليهما ، لم يكن من نتيجة ذلك الا القضاء على هذه الوسائل (وهي لا تتعدى الصحف وبعض المطبوعات) بكل سرعة وشل النشاط الحزبي بالنتيجة الى حين ..وان العامل الأساسي الحقيقي لإسقاط وزارة أرشد العمري كان وسائل الضغط السياسي الشعبي وخاصة التظاهرات الدامية التي قام بها العمال خاصة وبعض الطبقات الشعبية الأخرى في كركوك وبغداد ؛ ..بتوجيه من العناصر المؤمنة بوسائل الكفاح بالعمل كالتحرر الوطني والجماعات السرية..وسنعود الى هذا الموضوع بعد قليل..(٢) ان مراكز القوة في جهاز الدولة ، وخاصة الجهاز التنفيذي فيها هو في الواقع بيد الجماهير ، كعمال المؤسسات المختلفة ، الحكومية وشبه الحكومية ،والجيش والشرطة والطبقات العامة من مستخدمين وموظفين وغيرهم. وبالنظر الى ان أهم وسائل العمل الحزبي كما سنرى بعد قليل هي الوسائل الثورية بمعناها العام أي وسائل الضغط والقوة...فان اعتماد الحزب على الجماهير يبقى الوسيلة الوحيدة لفعالية الحزب وبخاصة في العمل. د – ويضمن هذا العنصر كذلك انتصار الحزب في النهاية أي وصوله الى الحكم. فالطبقات الحاكمة لا يمكن ان تتنازل عن شيء من حقوقها وان تخضع ولو نسبيا للأحزاب الطبقية المعارضة الا تحت عوامل الضغط ولا يتحقق ضغط الحزب إذا لم يكن مستندا الى الجمهور.ح – كذلك يمهد هذا العنصر لتدرج الجمهور نحو مراكز القيادة في العمل الحزبي ويهيئهم لاحتلال المراكز اللازمة في الأحزاب القائمة ويعودهم على ممارسة الحياة الحزبية الى جانب التنظيمات الأخرى التي تشترك مع التنظيم الحزبي في بلوغ هذا الهدف وخاصة منها التنظيم النقابي. و – كذلك تخفف شعبية الحزب من (دوغمائية) المثقفين بربطهم بالواقع وضمان خط الرجعة ضد تأرجح المثقفين واحتمال تحولهم وتقلبهم الفكري .ان طبقة المثقفين (الأنتلجستيا) طبقة ثقافية لها خصائصها بحكم عوامل اجتماعية مختلفة سنعود الى دراستها في العراق على وجه التفصيل في آخر هذه الدراسة.ويكفي ان نذكر الآن ان هذه الطبقة خاصة في العراق غير مستقرة من الوجهة الفكرية ..وهي تمتاز أيضا بالتجريد في اتجاهاتها الفكرية والابتعاد كثيرا عن الواقع في مناقشاتها السياسية. ان جدلية المثقفين سبب مهم من أسباب اختلافهم في ميدان العمل الحزبي وهي تعلل لنا الى جانب عوامل أخرى سيأتي ذكرها بعد ذلك ، تعدد الأحزاب اليسارية في العراق من دون مبرر اجتماعي متصل بالمرحلة القائمة في العراق ...واعتماد الحزب على الجمهور يقلل كثيرا من (الدوغمائية) المذكورة وبالتالي يقلل الى حد كبير من الاختلافات العملية التي تستند الى اختلافات فكرية صرفة لا مبرر لها في واقع الأمر. ز – واخيرا يضمن هذا العنصر دوام مالية الحزب ورفده المستمر بالمال اللازم للاعمال الحزبية.

• وسائل العمل (التكتيك)

هذا العنصر هو مقياس النجاح الحزبي في الحقيقة وهو الضمان اللازم لنجاح الحزب وفعاليته وسيره في ميدان العمل .والتكتيك – اختصارا يعني استغلال جميع إمكانيات البلاد في سبيل تحقيق مبادئ الحزب . ويتطلب هذا الاستغلال معرفة شاملة واسعة جدا بظروف البلد الاجتماعية بمعناها العام وتفاصيل الظروف الخارجية المحيطة بالبلد ... ودراسة التيارات السياسية السائدة في الموقف المعين المطلوب . واضح من ذلك صعوبة وضع مبادئ عامة تحدد التكتيك وتحكم تفاصيله...ويمكن ملاحظة الأشياء التالية في موضوع التكتيك.

أ – التطور والمرونة : وهذه الصيغة لازمة في التكتيك بحكم اختلاف الظروف الداخلية والخارجية في البلاد وتطورها حسب الزمان والمكان والطبقات الاجتماعية والقوميات السائدة والأديان المتنوعة ..الخ.

ب – الثورية : المقصود هنا السير في الوسائل العملية على اعتبار ان الانتقال الطبقي في المجتمع لن يتم ولا يمكن ان يتم الا بالقوة بمعناها العام ، أي الا بوسائل الضغط على اختلاف ضروبها وألوانها .وينتج عن ذلك لزوم اهتمام الحزب بالوسائل العملية للتأثير على الطبقات الحاكمة وكسب الانتصارات عليها، وعدم امكانية الاعتماد على مجرد وسائل الاقناع في سبيل تحقيق ذلك ! إن وسائل الأقناع ، كما سنرى فيما بعد ، وسائل لازمة لكسب الطبقة المتعلمة خاصة..أما الطبقات الحاكمة فليس مصدر استغلالها وتشبثها بوسائل الحكم وسيطرتها على مصادر القوة العامة هو حسن النية أو الخطأ أو الجهل حتى يمكن أن تحول عن ذلك بوسائل الأقناع وانما مصدر كل ذلك هو مصالحها الطبقية المباشرة التي لا يمكن أن تتخلى عنها الا بوسائل الضغط. كما ينتج عن ذلك لزوم الاهتمام الجدي بكسب عناصر القوة التنفيذية في البلد أي مصادر القوة المادية التي تسند القوى الحاكمة في سيطرتها وحكمها وخاصة كسب عناصر الجيش والشرطة وعمال المؤسسات الحيوية في البلاد كعمال السكك الحديدية وشركات النقل وشركات النفط وعمال الموانئ والمطارات والموظفين والمستخدمين بوجه عام .

ج ـــ الدولية (العمل في النطاق الدولي): إن الدولية في العمل الحزبي نتيجة طبيعية لدولية الكفاح الاجتماعي .وان المجتمع الطبقي خاصة في مرحلته الحاضرة يسير في تناقضاته الاجتماعية الطبقية في ميدان عام شامل خرج بفضل الصناعة الحديثة عن الميدان الإقليمي أو القومي أو القارى الى الميدان الدولي نفسه ..واصبح الكفاح السياسي كسائر ضروب الكفاح الاجتماعي الأخرى يسير بكل عنف وشدة في ميدان دولي واسع يشمل العالم كله. واصبح من الواضح جدا بل من البديهي جدا ارتباط مصائر الأحزاب الداخلية بكفاح سائر الأحزاب المماثلة الأخرى في الدول الأخرى ..واصبحت الدولية في الكفاح الحزبي ضرورة لازمة في نجاح الأحزاب مكملة للثورية وعنصر من عناصرها . ومن هنا يتضح لدينا خطأ الأحزاب العراقية عامة في عدم اهتمامها بضرورة العمل في النطاق الدولي وخاصة خطأ موقف الحزب الوطني الديمقراطي بعد خطاب رئيسه بمناسبة انشقاق الجناح التقدمي من الحزب وفصل رئيسه كامل قزانجي إذ افترض الخطاب المذكور استقلال العمل الحزبي في العراق عن الأحزاب المماثلة في البلاد الأخرى وشجب سياسة العمل الدولي للجناح المذكور بل اعتبر هذه السياسة نوعا من العبودية للسياسة الأجنبية وخيانة للمصالح الوطنية. كما ان اتجاه حزب الاستقلال ونظرته العامة للكفاح العالمي الدائر الآن توضح افتقاره الى هذا العنصر الأساسي في التكتيك وعدم ادراكه ارتباط مصائر العراق بحكم الضرورة الاجتماعية بمصائر الكفاح المذكور .هذا ويستلزم التكتيك المذكور الاهتمام بالمسائل الآتية في العمل الحزبي في العراق :

١. التعاون مع الأحزاب المماثلة في البلاد المستعمرة (بفتح الميم) والبلاد العربية منها بصورة خاصة بالنظر لتشابه الظروف الاجتماعية من جهة وبالنظر لوحدة العالم الخارجي (الاستعمار) وأساليبه من جهة ثانية ، وبالنظر للتشابه الواضح في المقومات القومية ..كوحدة اللغة ، والحياة الاقتصادية ، والثقافة من جهة ثالثة.

٢. التعاون الفعلي مع الأحزاب المماثلة في البلاد المستعمرة (بكسر الميم) نفسها نظرا لوحدة العدو المشترك أي الأمبرياليزم .

٣. العمل كجزء من الحركة الشيوعية الدولية والاشتراك في سياستها العامة والتأثير فيها والتأثر بها حسب ظروف الزمان والمكان.

٤. السرية – ان السرية ضرورة لازمة في جميع المجتمعات الطبقية بسبب عدم التوازن خاصة في المراحل الابتدائية من الكفاح الطبقي بين القوى المستغلة الحاكمة والقوى الشعبية المستغلة ، واحتمال القضاء على النشاط الحزبي الفعلي في كل لحظة باعلان الدكتاتورية الصريحة أي الفاشية او المستترة بسائر ضروبها والوانها ودرجاتها حسب الظروف. ان السرية ضرورة لازمة لأن حدود سماح الطبقات الحاكمة بالعمل الحزبي لا تتعدى الحدود الشكلية التي لا تمس المصالح الجوهرية لها.وهي مستعدة للسماح بالتمتع بالحقوق الدستورية المرسومة في الديمقراطية البورجوازية ضمن النطاق الاجتماعي الذي ترسمه نظمها الاجتماعية السائدة، وهي لا تسمح ولن تسمح أبدا باجتياز هذا النطاق الاجتماعي الا مضطرة على ذلك . من هنا تتضح ضرورة ولزوم العمل السري دائما في المجتمعات الطبقية.ومما يزيد في أهمية السرية في بلد تنعدم فيه تماما الموازنة في القوى الطبقية بين الطبقة الحاكمة ووراءها قوة الاستعمار وبين القوى الشعبية الضعيفة المتأخرة جدا في وعيها الاجتماعي ، هو ان الجهر بالشيوعية وبوسائلها في العمل مستحيل من الوجهة الفعلية ، بل هو جريمة من الجرائم العامة ، الأمر الذي يلزم جميع الأحزاب اليسارية ان تتبنى السرية كجزء أساسي من نشاطها الحزبي حتى في فترة نشاطها العلني فيما لا يمكن الجهر به ، من جهة، وتمهيدا لايجاد التنظيمات الكافية الضرورية لمواصلة نشاط الحزب عند احتمال القضاء على نشاطه العلني من جهة أخرى.

هذه خلاصة موجزة لمستلزمات الحزب بوجه عام والحزب الماركسي بوجه خاص في المجتمعات الطبقية .

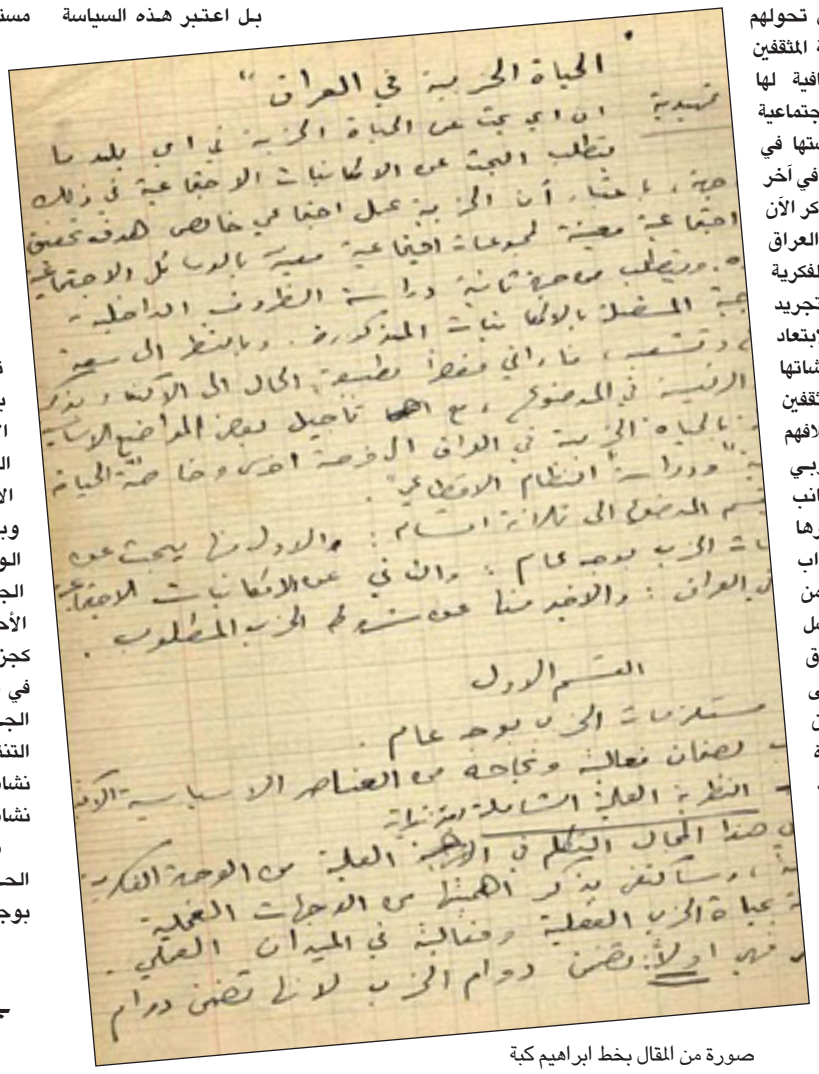
الحياة الحزبية في العراق"

صورة من المقال بخط ابراهيم كبة

× بحث نشره ابراهيم كبة في جريدة اتحاد الشعب عام ١٩٥٩

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

قراءة في كتاب:

دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي

يأتي كتاب الاستاذ ابراهيم كبة هذا، والذي ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بمثابة جهد وعمل كبير لما قام به المفكرون الاقتصاديون عبر عصور عديدة، في سبيل ايجاد مفاهيم وأفكار للظواهر الاقتصادية بغية معرفتها والتكيف او التكلم بها، وجعلها أكثر ملاءمة للاستيعاب عند الضرورة. وأن دراسة الاقتصاد وفهمه يرتهنان ايضاً بالمنهج الذي يستخدمه هذا الكاتب او ذاك، هذا الباحث او ذاك، هذا الفيلسوف او ذاك، لغرض فهمه وادراك أبعاده.

عباس الفياض ××

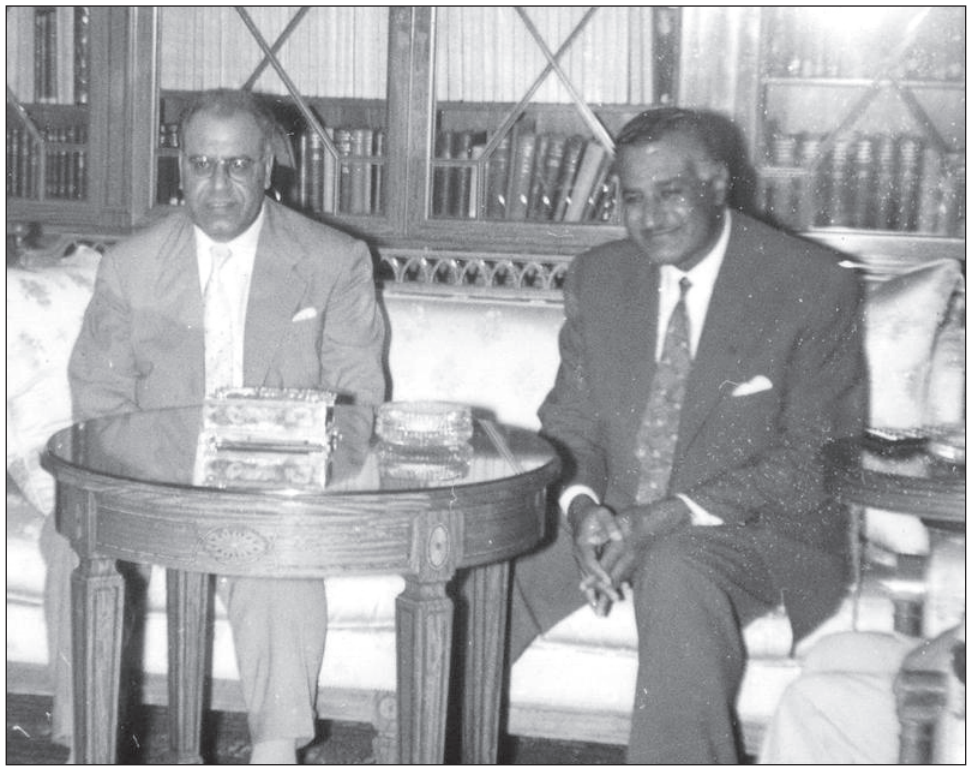

ابراهيم كبة مع جمال عبد الناصر

الفكرة العامة للكتاب

يحتوي العمل على ٥٦٠ صفحة من الحجم المتوسط، متضمناً مقدمة حول مواد الكتاب، والقسم الاول ظهر تحت عنوان: تاريخ الاقتصاد. وهو مقسم الى اربعة فصول، اما القسم الثاني فيحمل عنوان: في تاريخ الفكر الاقتصادي، وقد ضم ستة فصول. هذا مع العلم ان الاستاذ كبة وضع لكل قسمٍ او فصلٍ من فصول كتابه هذا فهرساً تفصيلياً خاصاً مع هوامش وحواشٍ لمزيد من التفصيلات، وبعض المفردات المعرفية الخاصة بآراء المفكرين وتواريخ تناولهم للمادة المطروحة. فلم يكتف المؤلف بمراجعة المصادر الثانوية، بل بذل مجهوداً كبيراً في الرجوع الى المؤلفات الاصلية لاصحاب المذاهب والآراء، وبلغاتهم الاصلية، موفراً مادة مليئة بالمعطيات التاريخية والفكرية، وبالوقائع والنظريات وملاحظاته النقدية بشأنها، التي تشكل مادة غنية بين أيدي الدارسين والباحثين والقراء، للاستفادة منها، وأن تكون حافزاً للتعمق اكثر وللتحليل ولمراجعة الاصول التي اعتمدها المؤلف.

المنهج العام للكتاب

تناول الاستاذ كبة في القسم الاول التاريخ الاقتصادي، مقدماً مادة منهجية منذ البدايات، تتناول أسسه المنهجية، حيث وضع عناوين كمقدمة عامة في مادة التاريخ الاقتصادي، تشمل:

أ. موضوع التاريخ الاقتصادي الذي يعنى، حسب المؤلف، بدراسة النشاطات الاقتصادية Activities، كما في الواقع، او حسب تعبير اندريه بيتر Andre Pietter يعنى بتاريخ الحياة الاقتصادية Vie او بتاريخ الوقائع الاقتصادية Faits، حسب تعبير مؤرخي الاقتصاد الفرنسيين او بتاريخ الخبرات والتجارب الاقتصادية Experiences حسب تعبير شمبيتر Schumpeter او بتاريخ تطور العمليات الاقتصادية، متجسدة عبر الزمن Process حسب تعبير اوسكار لانجه.

ب – كما يتناول المؤلف أساليب عرض المادة في المؤلفات الاكاديمية، أي دراسة التاريخ الاقتصادي حسب التقسيم الاكاديمي التقليدي للتاريخ العام الى عصور قديمة ووسطى وحديثة، منتقداً عيوب هذه الطريقة، فضلاً عن الغموض والشكوك الحديثة حول هذا التقسيم. كما يشير الاستاذ كبة الى اقتصارها على الزوايا والأطر التاريخية فقط من دون التعمق، او في دراسة التاريخ الاقتصادي من زاوية القطاعات الاقتصادية (زراعية، صناعية، تجارة... الخ). ويفند الاستاذ كبة هذه الطريقة بأنها تكمن في تجزئة العملية الاقتصادية بصورة مصطنعة، او في استعراض تاريخ أجزاء من العمليات الاقتصادية تعود لأنظمة اقتصادية مختلفة من دون ملاحظة وظائفها المتباينة، او الدراسة الاقليمية للتاريخ الاقتصادي، اي استعراض التاريخ من زاوية التوزيع الجغرافي للعملية الاقتصادية.

كما ان المؤلف يشير الى الدراسة المقارنة للتاريخ الاقتصادي، كما يفعل ولتر بكنكهام W.Buckingham في مؤلفه "النظم الاقتصادية النظرية – دراسة مقارنة"، وهو يقارب بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي. وهناك خلط، كما يقول الاستاذ كبة، بين التاريخ الاقتصادي والنظرية الاقتصادية، او كما يفعل رالف بلوجت R. Blodgette في مؤلفه "النظم الاقتصادية المقارنة". وعيوب هذه الافكار والنظريات تكمن في أن الاسلوب قد يكون مفيداً من الناحية العملية، ولكنه مضر من ناحية اهماله للطابع العضوي للنظام الاقتصادي، او كما تجري الدراسة المؤسسية Institutional للتاريخ الاقتصادي، أي التركيز على تاريخ المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية. وعيوب هذه الدراسة، بحسب الاستاذ كبة، انها تهمل في الحقيقة المفهوم العلمي للنظام الاقتصادي، فضلاً عن مفهومها الخاطئ للراسمالية والخلط بين الدراسة النظرية والواقع الاقتصادي. ويستعرض المؤلف ايضاً دراسة النماذج النظرية Economic Models في التاريخ الاقتصادي، أي دراسة الخصائص الجوهرية للنظم الاقتصادية – التاريخية (اقطاع، رأسمالية، اشتراكية... الخ) بعد تجريدها من التفاصيل غير المهمة.

وهنا يقف الاستاذ كبة الى جانب هذا الاسلوب من الدراسة للتاريخ الاقتصادي، معتبراً اياه خطوة لا غنى عنها لفهم جوهر الانظمة الاقتصادية التي تعاقبت. ولكن المنهجية العلمية تفترض ان يعقب التجريد عملية اخرى هي عملية التقريب او التمديد المتعاقب Successive Approximation. وبعكس ذلك ستكون الدراسة مشوبة بعيب التجريد والبعد عن التاريخ الحقيقي.

وينتهي الاستاذ كبة بالاشارة الى ان الطريقة الصحيحة، في رأيه، في عرض التاريخ الاقتصادي هي طريقة دراسة تطور وتعاقب النظم الاقتصادية (نظم الانتاج والتوزيع) بسائر مقوماتها العلمية، وفي اطرها الاجتماعية والتاريخية (أنظر ص ٦٠). وفي الصفحات التي تليها يضع المؤلف قائمة بأسماء المؤلفات التي تساعد في دراسة المادة في الجامعات.

أهم الاشكاليات التي تناولها المؤلف

يرى د. كبة ان من المناسب الاشارة الى بعض النظريات حول مراحل التاريخ الاقتصادي، ويختار منها بعض نظريات التفسير الاقتصادي، تاركاً النظريات الاجتماعية الأخرى... الخ

أ. نظرية فون لست F. List حول مراحل التاريخ الاقتصادي القومي، وهو من رواد المدرسة التاريخية الالمانية والمدرسة الرومانتيكية الالمانية ومؤسس المدرسة الوطنية فيها. ويقوم نظامه الفكري على ثلاثة أركان: (نظري، عملي، تاريخي). وتستند نظريته الى اعتبار تقسيم العمل هو العامل الحاسم في التطور الاقتصادي، وهذا العامل ايضاً يكتسب أهمية من قبل آدم سمث، وقبله افلاطون وارسطو، إلا ان هذا العامل، حسب رأي الاستاذ كبة، لا يمكن ان يكتسب دلالته إلا ضمن نمط العلاقات الانتاجية بمجموعها.

ب. نظرية برونو هلدبراند (١٨١٢ – ١٨٧٨) حول مراحل التطور الاقتصادي لـلامم. ويعد هلدبراند أحد مؤسسي المدرسة التاريخية الالمانية، والذي هاجم المدرسة الكلاسيكية البريطانية في مؤلفه "الاقتصاد السياسي للحاضر والمستقبل"، وهو يرى ان مهمة علم الاقتصاد يجب ان تقتصر على دراسة التاريخ الاقتصادي الحقيقي للامم.

ج. نظرية هنري مورغان لمراحل التطور الاقتصادي بفعل تطور أدوات الانتاج. يعد الانثروبولوجي الامريكي مورغان من الاوائل الذين ركزوا على أهمية العامل التكنولوجي (تطور أدوات الانتاج)، وممن اكدوا على نشوء وتطور وانحلال النظم الاقتصادية. وتعد نظريته، كما يشير الاستاذ كبة، احد المصادر الاساسية للنظرية الاشتراكية، وذلك بتأكيدها على عامل قوى الانتاج، واعتباره الحافز الاول للتطور الاقتصادي والاجتماعي. ويلاحظ على هذه النظرية انها احادية الجانب one side لاعتبار ان التقدم التكنولوجي نفسه مشروط دائماً بالمحيط الاجتماعي.

د. نظرية بوخر في تطور الوحدات الاقتصادية. كان بوخر (١٨٤٧ – ١٩٣٠) احد أقطاب المدرسة التاريخية الالمانية الجديدة بجانب شمولر وماكس فيبر وسومبارت، وهو يشير في كتابه "نشوء الاقتصاد" (١٨٩٣) الى ان الاقتصاد مر بثلاث مراحل تاريخية هي "المرحلة المنزلية، مرحلة اقتصاد المدن، مرحلة الاقتصاد الوطني". ونظريته لها تأثير في صياغة المدرسة الاقتصادية الامريكية – المؤسسية Institutional (كوفنر، ميتشل... الخ)، كما اشار لها بوضوح افلاطون وارسطو، كما اشار لها آدم سميث لتقسيم العمل.. الخ، وبسبب طابعها الميكانيكي هاجمها سومبارت، فضلاً عن الاقتصاديين المعاصرين.

هـ – نظرية روستو في مراحل النمو الاقتصادي. يرى روستو بأن جميع الاقطار تمر في تطورها الاقتصادي بخمس مراحل من المرحلة الدنيا الى الأعلى، وهي:

١ – مرحلة المجتمع التقليدي Traditional

٢ – مرحلة الشروط المسبقة الانطلاق Preconditions of take off

٣ – مرحلة الانطلاق Take off

٤ – مرحلة السير نحو النضوج Drive toward maturity

٥ – مرحلة الاستهلاك الجماهيري المرتفع High mass consumption

وبعد ان يشير كبة لكل مرحلة وما يليها من المراحل الاخرى، يقدم ملاحظاته النقدية، في كونها تشكل مجموعة من أفكار البرجوازية، ولا تحتوي على عنصر جديد، لا في فكرها الاجتماعي او الاقتصادي، وهي خليط متنافر من آراء مجموعة الاشتراكيين التصحيحيين Revisionists والتكنولوجيين المعاصرين، وبعض الآراء الكنزية، الى جانب العديد من الاراء المغرقة في الفاشية والنازية وموجهة لتحقيق أهداف محددة، وهي معارضة للاشتراكية ولحركة التحرر الوطني.

و. نظرية اندريه بيتر في ربط مراحل التطور الاقتصادي بمراحل حضارات البحر المتوسط. وبحسب بيتر فان الحضارات اليونانية والرومانية والغربية الحديثة مرت بثلاث مراحل. المرحلة الاولى تميزت بخضوع الاقتصاد Subordonnee للتقاليد الدينية والاخلاقية، حتى القرن الثامن عشر. اما المرحلة الثانية، فانها تتميز بتحرر المجتمع من هذه التقاليد وينزع الاقتصاد نحو التحرّر ويتحول من خاضع الى اقتصاد مستقل Independent، وقد دخلت

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

اوربا في هذه المرحلة ابتداء من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والمرحلة الثالثة تتميز بانحلال عناصر الفردية وتحول الحرية الى فوضى والسلطة الى استبداد، بسبب الطابع اللاأخلاقي لتراكم الثروة، وتضطر الدولة للتدخل في الحياة الاقتصادية، ويتحول الاقتصاد الى الاقتصاد الموجه Dirigee، مرحلة تدخل الدولة Estatisme.

يوجه الاستاذ كبة سهام نقده الى هذه النظرية ويصفها بالمثالية والسطحية في عرضها لعلاقة الاقتصاد بالدولة، بقوله ان جوهر المراحل يتحدّد بطبيعة قوى الانتاج بعلاقات الانتاج والتفاعل بينهما، ونتيجة لهذه الرؤيا لا يفرق بيتر بين المراحل التي مرت بها البشرية (العبودي – الاقطاعي – العصور الحديثة... الخ) (ص ٧٩).

واضافة لذلك يوضح الاستاذ ابراهيم كبة العلاقة بين التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي، والخلط الذي تذهب اليه بعض المؤلفات الاكاديمية بين هذين العلمين. ويشير هنا الى ان التاريخ الاقتصادي هو علم وصفي، يتناول الواقع التاريخي للعملية الاقتصادية، علم وقائع Factual، انه الوجه الواقعي (وجود – واقع) وجزء من القاعدة الاقتصادية Economic base، جزء من علاقات الانتاج، في حين ان تاريخ الفكر الاقتصادي، هو تاريخ الصياغات النظرية للقوانين الاقتصادية، والوجه النظري للعملية الاقتصادية (فكر – نظرية)، وجزء من مفهوم الايديولوجية او مفهوم البناء الفوقي – العلوي Superstructure. وعليه فان التاريخ الاقتصادي، بحسب كبة، هو الاساس المادي لتاريخ الفكر الاقتصادي (ص ٨٢).

كيف يرى الاستاذ ابراهيم كبة بعض الاشكالات من منظوره؟

يتناول الاستاذ كبة الاسس المنهجية في دراسة نظرية انماط الانتاج في الفصل الثاني (ص ٨٥)، واضعاً الاطار المنهجي لمجموع الدراسات الخاصة بهذا القسم. وفي دراسة مكثفة يأخذ في الاعتبار مجموع العوامل المادية والفكرية، التي توجه النظام الاقتصادي، مشيراً الى بعض المفاهيم الاقتصادية الاولية، معرفاً الاقتصاد السياسي بأنه العلم الذي يعنى بدراسة القوانين الاجتماعية التي تحكم انتاج وتوزيع البضائع لاشباع الحاجات الانسانية، سواء كانت هذه الحاجات حيوية (بايولوجية) او اجتماعية، والتي يقرّرها مستوى الثقافة العام في المجتمع، وقد تكون الحاجات فردية او جماعية... وغيرها من التعريفات التي ترتبط بعملية الانتاج والتوزيع والعمل، وكل ما يرتبط بالاقتصاد السياسي من قوانين.

وفي الفصل الثالث تناول نظام الاقتصاد البدائي او "المشاعي"، مؤكداً طابعه التاريخي الشمولي، رابطاً اياه بالاصول البايولوجية والانتروبولوجية للتاريخ الانساني، الذي يوفر بدوره شروط نشوء النشاط الاقتصادي، وأن الملكية المشتركة لوسائل الانتاج اساس العلاقات الانتاجية، وتطابق تعاونية العمل، وهذا التطابق بين الملكية وقوى الانتاج جاء نتيجة لضعف الفرد المنعزل وليس نتيجة جعل وسائل الانتاج اجتماعية... والقانون الاقتصادي الاساسي لنظام انتاج المشاعية هو ضمان وسائل المعيشة الضرورية للانسان بالاعتماد على أدوات انتاج بدائية، وعلى اساس مشاعية تملك وسائل الانتاج، والعمل الجماعي، وطريقة التوزيع المتساوي للمنتجات. وكان التقسيم الوحيد للعمل هو التقسيم الطبيعي "رجال ونساء" (ص ١١٨).

وفي الفصل الرابع (ص ١٣٩ – ٢٦١) يتناول المؤلف الاقتصاد العبودي معالجاً فيه مسائل نظرية حول نمط الانتاج العبودي والازمة العامة للنظام العبودي، ملقياً اضواء ساطعة على أهم معالم نشوء المؤسسات الحضارية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويمكن القانون الاقتصادي الاساسي للنظام العبودي في الانتاج مقدرا من فائض المنتوج Surproduit لاشباع حاجات مالكي العبيد، وذلك عن طريق الاستثمار (الاستغلال) الوحشي للعبيد على اساس التملك الكامل لوسائل الانتاج والعبيد من قبل مالكيهم، وعن طريق استرقاق asservissement والحاق الخراب بالفلاحين والحرفيين وتحويلهم الى عبيد مرحلة الانتقال الى العبودية – وكذلك عن طريق قهر واسترقاق شعوب البلدان الاخرى.

والنظام العبودي هو الذي كان قد مكن على نطاق واسع نسبياً من تقسيم العمل بين الصناعة والزراعة، وبالتالي من بلوغ العالم القديم الذروة في الحضارة الهيلينية Hellenisme. وبدون وجود العبودية لم يكن من الممكن وجود الدولة اليونانية او الفن والعلم الاغريقيان. الحال بدون قاعدة الحضارة الهيلينية والامبراطورية الرومانية، ما كان بالامكان ظهور اوربا الحديثة، (مقتبسة من انغلز "الرد على دوهرنغ" Anti-) Engels Duhring) ص ١٩٩.

اما القسم الثاني من مؤلف ابراهيم كبة فمخصص للحديث عن "تاريخ الفكر الاقتصادي" (ص ٢٦٣ – ٥٥٦)، الذي تناول فيه بعض التيارات الفعالة في تاريخ الفكر الاقتصادي، بدءاً بالفكر اليوناني والروماني، وصولاً عبر السكولائية والماركنتيلية الى النظرية الكنيزية في الثلث الثاني من القرن العشرين.

حاول المؤلف ان يكرس جهداً كبيراً في دراسة الجوانب المنهجية والمبدئية والنظرية العامة، مستعرضاً الجوانب النقدية للمؤلفات الاكاديمية الحديثه، من وجهة نظره، مقدماً منهجاً علمياً شاملاً للافكار والمفاهيم والأسس المنهجية التي يمكن الاطمئنان لها، في دراسة تفاصيل التاريخ والأزمنة والوقائع والافكار الاقتصادية وفي تحديد المفاهيم الاساسية للعلوم الاقتصادية مثل المذهب، النظرية، النظام، المنهج، السياسة، المؤسسة، الفكرة، الفكر... الخ). اضافة الى تناول المناهج الاكاديمية (المنهج الكلاسيكي، التاريخي الأقطاعي، الاقليمي، المقارن... الخ، مركزا على العيوب البارزة التي تصاحب التجزئة، التجريد، الشكلية.. الخ، ومن منهجية اعتمدها المؤلف. حيث يتناول الموضوع خلال دراسته لنظرية انماط الانتاج باعتبارها إطاراً لمجموعة الدراسات المنهجية الخاصة في هذا القسم من الكتاب، مشيراً الى حداثة المادة المطروحة، كما يذهب الى ذلك اريك رول Eric Roll في مؤلفه "تاريخ الفكر الاقتصادي" A History of Economic.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت بعض المؤلفات في هذا الموضوع، يأتي في المقدمة منها من حيث الاهمية مؤلف آدم سمث Adem Smith "ثورة الامم" الذي يستعرض فيه الماركنتيلية، وما كتبه المؤرخون الاشتراكيون من الالمان في القرن التاسع عشر لتثبيت المنهج التاريخي مثل شمولر والناقدين للنظام الرأسمالي وفكره الاقتصادي من امثال كارل ماركس ونظريته في فائض القيمة ودوهرنغ في التاريخ النقدي للاقتصاد الوطني والاشتراكية، حتى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث اصبح تاريخ الفكر الاقتصادي مادة مستقلة وأكثر مرغوبيةً Popular.

ويحدد الاستاذ كبة الاهمية لدراسة المادة، في انها:

– اولا، انها تؤكد الطابع العلمي لعلم الاقتصاد وتجنب المرء خطر "التجريد" الشائع في علم الاقتصاد الاكاديمي.

– وثانياً، في كونها تشكل مدخلاً لدراسة النظرية الاقتصادية المعاصرة واستيعاب الجدل القائم فيها بين الاقتصاديين، حول نظرية ارسطو في الطبقات الاجتماعية، او نظرية ريكاردو في الريع التفاضلي او آراء توماس الاكويني حول الربا او النظريات الفيزيوقراطية حول الزراعية، وكذلك كينز الذي احيى نظريات مالتس وبرودون وسيسموندي في أهمية الطلب الفعال ودوره في التحليل الاقتصادي. وهنا يؤكد الاستاذ كبة أهمية الجدل للنظريات الاقتصادية المعاصرة من جهة، والمفكرين الذين يمثلون هذه الاتجاهات.

– وثالثاً، اهمية دراسة المادة لتجنب تكرار الاخطاء في السياسة الاقتصادية ولضمان التقدم في هذا الميدان، والبناء على أسس الفكر السابق، وتجنب ما يسميه كونار الزيزفية الفكرية Sisiphisme Intellectuelle في اشارة الى اسطورة زيزيف اليونانية المعروفة.

– ورابعاً لاثبات استمرارية ووحدة الفكر الاقتصادي منذ العصور القديمة حتى الآن.

– وخامساً، هو التأكيد على الطبيعة الاجتماعية للاقتصاد وارتباطه بجميع العلوم الاجتماعية الاخرى كالسياسة، الاخلاق، الفقه، والجماليات وعلم الاجتماع... الخ).

– وسادساً هو ادراك نسبية Relativity الافكار الاقتصادية، وعدم تمتعها بقيم مطلقة وتوقفها على الظروف الزمانية والمكانية، مما يوحي بأهمية التطور من دون الثورة في زعم هاني Haney في مؤلفه "التاريخ الفكري للاقتصاد" History of Economic، كما يشير الى ذلك الاستاذ كبة.

– وسابعاً، لأهمية التمييز بين "علم الاقتصاد" كمجموعة قوانين موضوعية، وبين الاقتصاديين الذين يختلفون في تفسيراتهم لهذه القوانين، تبعاً لاختلاف فلسفة الحياة واختلاف المنهج Method.

كما يشير الاستاذ كبة الى ان وراء كل فكر اقتصادي "قديم وحديث" فلسفة اجتماعية. ويميل الاستاذ كبة الى الربط بين الصلة الأكيدة بين التحليل الاقتصادي والفلسفة الاجتماعية، ومن الصعوبة فهم الاول من دون الثاني، وأن للفكر الاقتصادي جذرين، الاول الجذر الفلسفي، او ما يدعونه "الصورة العالمية للحياة الاجتماعية، والثاني الجذر العملي، اي الآراء والحلول لمشاكل الحياة الاقتصادية العملية، التي تصدر عن الساسة ورجال الادارة ورجال الاعمال... الخ.

نقاط الاختلاف ونقاط اللقاء

يخالف الاستاذ كبة آراء تيلر Taylor بقوله: "يبالغ تيلر في التأكيد على اندماج الفكر الاقتصادي بالفلسفة الاجتماعية، متجاوزاً الارتباط بين المادتين الى الرغبة في ادماج في مادة واحدة. ويرى ان الفرق بين المادتين ليس فرقاً في الطبيعة او في الدرجة، بل هو فرق في الموضوع، حيث ان الفلسفة السياسية، الاخلاقية، الاجتماع، الاقتصاد، مواد ولكل من هذه المواد موضوع محدد مختلف عن الموضوعات الاخرى، هذا المبرر لدراسة كل موضوع على حدة، لا يعني نسيان الترابط فيما بينهما.

كما يلاحظ كبة بعض التناقضات في استعراض هاني للخطوط العامة بين الفكر المادي والفكر المثالي، ويبرز عيوله في الخلط بين الانواع المختلفة للمادية والمثالية في الحقول المتعددة للمعرفة (الحقل الوجودي – انتولوجيا، والحقل المعرفي – استمولوجيا، والحقل الاجتماعي – سوسيولوجيا). ويتوقف عند المنهج لهاني في الفكر الاقتصادي والمنهج الاقتصادي وأثره في تحديد الفكر الاقتصادي واختلاف المنهجية سبباً للخلاف في الفكر الاقتصادي بعد ان يضع "المنهج الاستنتاجي" Deductive (من العام الى الخاص)، والمنهج الاستقرائي Inductive (من الخاص الى العام) والمنهج الاحصائي يعتقدها بأنه الجمع بين المنهجين.

وبعد ان يحاجج كبة طروحات هاني ومنهجيته وبعض التطرف في تفسيره وتطبيقه بعض أقطاب المدرسة التاريخية الالمانية ونفي الطابع الشمولي لمسلمات المدرسة الكلاسيكية الانكليزية "الانسان الاقتصادي انسجام المصالح" ورفض تقسيم العمل الدولي، حرية التجارة الدولية... الخ، وصولاً الى انكار وجود علم للاقتصاد... يشير كبة الى ان تصنيف المنهجية في الاقتصاد لدى هاني الى استقرائية واستنتاجية احصائية، تؤكد ان هاني لا يستوعب كامل العملية المنهجية ولا حتى جوهر هذه العملية. غير ان كبة يتفق مع هاني في ربطه الفكر الاقتصادي بالفلسفة.

ولعل من المفيد الاشارة الى تفرد

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

شومبيتر Schumpetere في مؤلفه تاريخ التحليل الاقتصادي History of Economic Analysis من بين المؤرخين وانكاره اثر الفلسفة في تطور الفكر التحليلي في الاقتصاد، وحسب آرائه لا أثر للفلسفة الاغريقية القديمة أي مجموعة المعارف العلمية (العلم الكلي Universal Science مجموعة العلوم الطبيعية والاجتماعية والميتافيزيقية، التي بقيت سائدة حتى منتصف القرن الثامن عشر، والتي تمثل افكار كبار الموسوعيين من امثال ارسطو وتوماس الالكيني ولاينتز وفيكو، اصحاب النظم الفكرية الشاملة، فان العلاقة معدومة في رأي شومبيتز بين فلسفة هؤلاء وبين آرائهم في الحقول المختلفة، لا اثر لفلسفة ارسطو في نظرياته الفيزيائية والاقتصادية ولا أثر لفلسفة لايبتيز (مونادولوجيا Monadology) في آرائه في التجارة الحرة.

تدفع هذه القضايا الاستاذ كبة الى تفنيد افكار شومبيتر باشارته الى ان السلوك الاقتصادي يتأثر حتماً بالمعتقدات الفلسفية (دينية ام غيرها) ولهذا فان اثر الفلسفة اكيد في "السياسات" الاقتصادية التي يدعو اليها الاقتصادي، اي بالنسبة لفروض ونظريات وأدوات المحلل الاقتصادي. ومن المؤسف، يقول كبة، ان شمبتر لا يقدم أية حجج لاثبات رأيه هذا، بل يحيل القارئ الى تفاصيل في كتابه الضخم: " تاريخ التحليل الاقتصادي". كما ويخالف كبة شومبتر في الفكر الاقتصادي والتحيز الايديولوجي Ideological bias من ان التحيز الايديولوجي من اكتشاف ماركس وزميله انجلز موجهاً انتقادات للمفهوم الماركسي للايديولوجيا.. الخ. ويشير كبة الى ان شومبيتر وحداني Monist التفسير للايديولوجيا، لا صلة له في الواقع، وعلى خلاف ما يضمن شومبيتر وأغلب المفسرين الاكاديميين المعاصرين، من ان المحلل الاقتصادي نفسه هو نتاج محيط اجتماعي محدد، وموقع معين في المحيط المذكور. وبالمقابل تناول الاستاذ كبة للفكر الاقتصادي في العهد الاقطاعي، وفي تحديد العصر الوسيط والجدل الحاصل بين المؤرخين الاكاديميين، حيث يشير احد المؤرخين الهولنديين الى ان تحدي الفترة الاقطاعية من ٣٣٧ ميلادية التي انتهى حكم قسطنين الكبير، وعصر وسيط ينتهي بسقوط القسطنطينية ١٤٥٣ ميلادية، وهي الفترة التي ساد فيها الحكم الاقطاعي في اوربا، والجدل الواسع بين الباحثين،. وللأستاذ ابراهيم كبة رأي في هذا الجدل، يشير فيه الى أنه من العبث محاولة وضع نظرية عن الفترة الزمنية، ومن المهم تتبع تفاصيل عملية التحول الاجتماعية من النظام القديم (الرق) الى النظام الاقطاعي الجديد، وأن كل نزاع ينشأ في احضان النظام الذي سبقه، ويبدأ التصادم فيما بينهما. ويسجل واقع نشوء النظام الرأسمالي اثر انفجار الثورات السياسية البرجوازية في القرن السابع عشر والثامن عشر، مشيراً الى انه يمكن اعتبار النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، باعتباره نقطة التحول من نظام الرق الى النظام الاقطاعي، كما يمكن اعتبار القرن الخامس عشر الميلادي الفترة الحاسمة للانتقال من الاقطاع الى الرأسمالية (ص ٣٨٧ – ٣٨٨).

لكن مصادر الفكر الاقتصادي الاقطاعي، كمال يقول الاستاذ كبة، بل ان الحياة الفكرية بمجموعها في العهدالاقطاعي، كانت تحت اشراف الكنيسة، فلا غرابة، اذن، ان ترتدي شكلاً دينياً سكولائياً، ولا غرابة اذا كانت الآراء الاقتصادية تشكل على الدوام فصولاً من كتب الفقه واللاهوت. ولكن الفكر السكولائي استمد عناصره الفكرية من ثلاث مصادر، هي الفكر اليوناني، وتحديداً ارسطو، والفكر المسيحي القديم، وثالثا دور الكنيسة ومذهب توما الاكويني، الذي يقوم على التوفيق بين الافكار المسيحية الاولى وبين شروط النظام الاقطاعي. وهنالك آراء شومبيتر لدراسة الفكر السكولائي، رغم ان كبة يختلف اختلافاً جذرياً عن خطه العام، ولكنه يضع حيزاً كبيراً لافكار شومبيتر امانة للفكر في الصفحات ٤٢١ – ٤٥٩.

غير ان الاستاذ كبة ينتقد رأي شومبيتر في تقييم نظرية الفائدة عن السكولائيين المتأخرين واعجابه بها، ويعتبر اي تفسير نقدي للفائدة مجرد مس سطحي للظاهرة الاقتصادية لا ينفذ الى جذورها في العملية الاقتصادية نفسها، وفي النظام الاقتصادي (النمط الانتاجي) الذي يفرزها او ان ربط الفائدة بالربح خطوة صحيحة ولكنها خطوة قاصرة. ان الحل يكمن في دراسة قوانين النمط الراسمالي وخاصة قوانين انتاج وتوزيع فائض القيمة، وهذا ما فعله مؤسسو الاقتصاد العلمي من وليم بني حتى كارل ماركس (ص ٤٥٩).

في الفصل الخامس: "الفكر الاقتصادي لعهد الرأسمالية التجارية، وضع الاستاذ كبة بعض العناوين التي تساعد على تناول الموضوع بسلاسة، بدأ من الاساس المادي (التراكم البدائي لرأس المال) وشروط نشوء الرأسمالية التجارية وشروط الانتاج وعملية التراكم، والفكر المركينتيلي باعتباره جزء من الايديولوجية الرأسمالية. مشيراً الى أن آدم سمث، في كتابه "ثروة الامم"، هو اول من أطلق اسم "الماركينتيلية" والتي كانت تعكس ايديولوجيا نشوء وتطور الرأسمالية التجارية Commercial Capitalism. ويخلص الى القول ان المدرسة الماركينتيلية خدمت مصالح فئات الرأسمالية التجارية الى جانب الملوك وحاشيتهم البيروقراطية والفئات العليا الاحتكارية من الراسمالية التجارية.

ويعزي الاستاذ كبة تخلفها، الى تغير الوقائع الاقتصادية وظهور خبرات جديدة نحو المؤسسات المصرفية وتوسع الاقتصاد السوقي + الثورة الصناعية، التي احلت "المنظم الصناعي" Entrepreneur محل التاجر باعتباره الشخصية الاساسية في النظام الاقتصادي (ص ٥٢٦).

اما الرأسمال الصناعي، فقد بدأ ينشأ ويتطور قبيل الثورة الصناعية (أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر). والمؤسسون الحقيقيون لعلم الاقتصاد يأتي على رأسهم وليم بتي و يرى ولادة الافكار للنظام الرأسمالي ولدت في احشاء المجتمع الاقطاعي في الفترة المذكورة نفسها.

والفصل السادس الذي ظهر تحت عنوان: "الكامراليون الالمان الاوائل" (الصفحات ٥٣٤ – ٥٥٦)، فيشير الى تطور العلم الكامرائي في المانيا والنمسا، وهو الاسم الذي أطلق على الماركينتيلية طيلة ثلاثة قرون في هذه البلدان، إذ ترجع افكارها الى بداية القرن السادس عشر، وبذورها لدى لوثرو اوسا Ossa ((١٥٠٦ – ١٥٥٦ وبصورة اوضح لدى الحقوقيين جورج اوبرخت Obrecht وبزولد Besold في أواخر القرن المذكور. كما برز بورنتز Bornitz وكلوك Klock. ومجمل الافكار المشتركة لهؤلاء تتحدد من قبيل: أهمية النقود، زيادة السكان، ضرورة التدخل الحكومي، ولكنهما اختلفا حول نقاط أخرى من قبيل: اعتماد نفقات الدولة على موارد الدومية الملكي او تحديد معدل الفائدة تحديداً قانونياً، او مدة وطبيعة الحقوق والامتيازات المالية للملوك Regalien تجاه رعاياهم. كما ان الموضوعات التكنيكية (كالزراعة وصيد الاسماك وصناعة الحرير) كانت تحتل اهمية خاصة في كتاباتهم.

والملاحظ في الفكر الكامرالي والماركينتيلي في الفكر الاقتصادي المعاصر، كما يشير د. كبة، من ان هناك جملة اتجاهات متباينة لتصور العلاقة بين الفكر الكامرالي الجرماني والفكر الماركينتيلي بصوة عامة، وبخاصة نمانجه الانكليزية. ولا شك ان الاختلاف في هذا التصور يعود اساساً الى الاختلاف في النظرة الاصلية لطابع ومحتوى ودلالة الفكر الماركينتيلي نفسه. وهنالك من يعالج الفكرين في اطار واحد وضمن عنوان واحد، هو الفكر الماركينيتلي، وخير مثال على ذلك الاقتصادي السويدي هكشر في مؤلفه المعروف الماركينتيلية، بينما يرى شومبيتر لا كتيار من تيارات الفكر الماركينيتنلي، بل كتيار من التيارات التي اطلق عليها اسم "أدب المستشارين الاداريين"، وركز على فكرة "دولة الرفاه"، أي دولة التدخل الاقتصادي (ص ٥٥٢).

ويتفق د. كبة مع الرأي الذي يفرد موضوعاً خاصاً للكامرالية الالمانية، لا باعتباره أدباً منفصلاً او متميز بسماته النوعية الخاصة، وأن خير من يمثل هذا الراي هو الاقتصادي الاميركي هاني (ص ٥٥٤)، وقد اثرت الكامرالية تأثيراً مباشراً في الفكر الاقتصادي الالماني الحديث وحددت مساره التاريخي وطبعته بسماتها الخاصة.

ملاحظات على الكتاب: أسلوب العرض، والمنهجية المعتمدة

يقوم مؤلف الاستاذ ابراهيم كبة بالتعبير على نحو علمي، عن مهمة الاقتصاد وعلى دراسة صادقة للافكار وللحياة الاقتصادية. وتكمن قيمة الكتاب العلمية في انها تكشف عن القوانين والمفاهيم التي تتحكم بولادة متخصص وعالم اقتصادي، كيف يبني أفكاره ومفاهيمه وكيف يعالج أفكار المفكرين الآخرين بدرجة عالية من الوضوح، وهذه بحد ذاتها، على ما اعتقد قيمة المؤلف. فثمة نقاط كثيرة اشار لها الاستاذ كبة وعمد الى شرحها بتوسع وبعضها اكتفى باشارات عابرة اليها. ولكنه، بالمقابل، دعم أفكاره بحواش ومصادر عديدة، فقد قسم الكتاب الى قسمين. القسم الاول يتضمن الجوانب التاريخية لعلم الاقتصاد مع تحليل لكي يكون العرض واضحاً قدر المستطاع ويسهل بلوغه للدارسين وللقراء، باستثناء بعض الجوانب الفكرية التي يحاجج فيها بعض آراء المفكرين وهو يوجه مؤلفه للدارسين والباحثين، الذين يريدون ان يعلموا جدياً ويريدون بالالي ان يأخذوا طريقهم بأنفسهم. انه يطلع القارئ على العشرات من آراء المفكرين ويعرض أفكارهم بشكل سليم، ويعطي وجهات نظره حولهم، ناقداً او مؤيداً، مخالفاً او متفقاً، ويجري حواراته في شروط تؤمن انتظام سيرها ما أمكن.

وعلى حد فهمي، فان الامر لا يتعلق بطريقة عرض المؤلف لكتاب ما، بل ما يتعلق بفهم القوانين والأفكار والمفاهيم التي طرحها المؤلف، لكي يتمكن الدارس من رسم طريقه الخاص، لمتابعة تطور هذا العلم. فهو تناول عرض الكتاب بمنهجية علمية وبروحية متخصص، ترك حيزاً كبيراً لتحليل الجوانب التاريخية للمدارس او المذاهب الفكرية (القديمة والحديثة)، التي تمكن الباحث من الاسترشاد منها.

وهدف المؤلف، على ما اعتقد، هو الكشف عن الطروحات غير العلمية التي تتناول موضوع الاقتصاد السياسي، وحركة المجتمع والمراحل التاريخية للتطور البشري، بعيداً عن الاسلوب الاكاديمي الانتقائي،الذي يكتفي بمجرد استعراض المدارس المختلفة على علاتها والوقوف متفرجاً منها، وانما يخضع جميع هذه الأفكار والنظريات لدراسة منهجية، قائمة على نظرة متكاملة موحدة للنشاط الاقتصادي وللعملية الاقتصادية، مما يضفي على المؤلف الترابط العضوي للملامح البارزة فيه، موضحاً بعض المقولات الاقتصادية وتعريفه لها. وعندما يريد ان يشير الى شاهدة معينة في التاريخ الاقتصادي فانه يشير الى اين؟ ومتى؟ ومن الذي عبر عنها بوضوح؟.

وفي القسم الثاني يعرض الجوانب النظرية، فقد اعتمد طريقة في البحث في منتهى الدقة، بحيث تناول الافكار من مصادرها الحقيقية، وبلغة أصحاب هذه الافكار والنظريات، وطبقها على الواقع بطريقة منهجية ماركسية. وهو بذلك يكون قد امتلك المادة بكل تفاصيلها، وحلّل اشكال نموها، وكشف عن الارتباطات لبعض المذاهب الفكرية المطروحة في الكتاب، وتمكن من عرضها بمجموعها وببناء هيكلي للمبادئ والافكار التي يتبناها المؤلف.

× ابراهيم كبة الموسوم، الفكر الاقتصادي والتاريخ الاقتصادي، الطبعة الاولى – الجزء الاول، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٠.

× × عباس الضياض، ماجستير في الاقتصاد وباحث يحضر لاطروحة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

رمز كبير للاستاذ أو المعلم في العراق

د. حسن بدر ×

ابراهيم عطوف كبة رمز كبير للاستاذ أو المعلم في العراق. درستُ على يديه مادة (تاريخ الفكر الاقتصادي) في العام الدراسي ١٩٧٠-١٩٧١. وإ ضافةً إلى المادة، فقد تعلمتُ الشيء الكثير والهام عن المنهج الماركسي في تناول قضايا المجتمع والطبيعة. ونظراً للشمولية والموضوعية التي كانت تميّز طريقة التدريس لدى الاستاذ ابراهيم كبة، فقد تعلمتُ ايضاً الشيء الكثير عن المناهج الاقتصادية الأخرى أو ما كنا نسميه، حينذاك، المنهج البرجوازي. وضمن هذا الاطار، تعلمَ طلبة الاستاذ كبة منهج الاقتصادي وعالم الاجتماع الامريكي- النمساوي جوزيف شومبيتر بحكم إن عمل هذا الأخير في حقل التحليل الاقتصادي هو أحد أهم المراجع الغربية لمادة تأريخ الفكر الاقتصادي.

كتبَ الأستاذ كبة الكثير من المراجع الهامة، ولكن أهمها هو عمله (تأريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي) الذي وضعه في بداية السبعينيات من القرن الماضي. وهذا الكتاب ضخم من حيث الحجم ويتميز برجوع المؤلف إلى المراجع بلغاتها الأصلية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها من اللغات التي كنت أسمع إن الأستاذ كبة يجيدها. ولكن رغم ضخامته، فهذا الكتاب لا يتضمن سوى الخطوط الرئيسية للموضوعات التي يتناولها. أما التفاصيل، الغنية بالأمثلة والتواريخ والشخصيات، فترد في محاضرات الأستاذ كبة التي يلقيها على طلبة السنة الثالثة في قسم الاقتصاد بكلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد. تمتاز هذه المحاضرات بكثرة التفاصيل وباسلوبها الشيق أيضاً مما كان يضمن انشداد الطلاب من بداية المحاضرة وحتى نهايتها للأستاذ دون ضجر ودون إحساس بمرور الوقت. ولذلك ليس غريباً أن تكون الغيابات في هذه المادة قليلة نسبياً (بالمقارنة بالمواد الأخرى). وإذا كان إعجاب الطلبة اليساريين وذي الميول اليسارية بمحاضرات الاستاذ كبة أمراً متوقعاً وطبيعياً (وهو إعجاب يشمل الأساتذة اليساريين الآخرين) فإن إعجاب عموم الطلبة كان يقتصر على الأستاذ كبة وعدد محدد من الأساتذة المقتدرين فقط. ومن الأعمال التي ترجمها الأستاذ كبة كتاب:(انهيار نظرية الرأسمالية الموجهّة)، الذي أفاد الكثير من الدارسين، حينذاك، في تفهم الطابع الدوري للأزمات التي يتعرض لها النظام الرأسمالي (وعملية التطور الرأسمالية عموماً) ومدى قدرة التنظيم والتوجيه في منع انهياره. وفي حقل عرض الكتب، كان أنفع ما يقدمه الأستاذ كبة هو كتاب الشهر، حيث يقوم الأستاذ كبة بترجمة وعرض وتقديم كتاب معين مرة كل شهر في مجلة الاقتصاد التي كانت تصدر عن وزارة الإقصاد. وضمن هذه النقطة، قام كبة، عام ١٩٧٣، بعرض الكتاب الهام للاقتصادي البولندي الكبير (كاليتسكي)، الذي عاصرَ وزاملَ الاقتصادي المعروف (جون مينارد كينز) وساعده في ابحاثه. وقد كان لعرض هذا الكتاب فائدة كبيرة لطلبة ماجستير الاقتصاد (كلية الادارة والاقتصاد) ضمن دراستهم لنموذج التنمية الرأسمالية في ذلك الوقت. وأخيراً، فالأمر الذي كان يحّير كاتب هذه السطور هو التساؤل عن إحجام الأستاذ الكبير ابراهيم كبة عن توظيف معارفه الواسعة والغنية (الاقتصادية وغير الاقتصادية) في تناول قضايا النمو والتنمية والتخلف في بلدان العالم والثالث، على غرار ما كان يفعل أكثر المفكرين الكبار في العالم، الذي كان الأستاذ كبة أحدهم بكل جدارة وحق.

× الدكتور حسن بدر، أحد طلبة الأستاذ ابراهيم كبة في مادة المذاهب الاقتصادية للسنة الدراسية ١٩٧٠/١٩٧١ في كلية الادارة والاقتصاد/جامعة بغداد، ثم اصبح لاحقا استاذا للاقتصاد في العديد من الجامعات، اضافة الى قيامه بترجمة العديد من الكتب الاقتصادية الكلاسيكية ومنها اعمال الاقتصادي المشهور شومبيتر.

ابراهيم كبة في موسكو

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

شذرات من الجهد الفكري لـ (إبراهيم كبة)

سلام ابراهيم كبة

ابراهيم كبة بموسكو ويبدو في الصورة الوزير عبد اللطيف الشواف

اغنى الاستاذ ابراهيم كبة منذ اواسط الاربعينيات ذاكرة ومكتبة الشعب العراقي الوطنية بالعشرات من المؤلفات والترجمات عن الانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية .. والتي نشرت بعضها بأسماء مستعارة .. وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ سجل تاريخ العراق الحديث له عشرات الخطب الارتجالية وهو يتولى حقيبتي وزارة التجارة (الاقتصاد لاحقا) ووزارة الاصلاح الزراعي .. كما تولى وكالة حقيبة وزارة النفط . وكان لابراهيم كبة عشرات الدراسات في المجلات العراقية والعربية..

يؤكد الاستاذ ابراهيم كبة في مقدمة كتابه الموسوم " نظرة سريعة في تطور النظام الاقتصادي" الصادر عام ١٩٥٣ " ان الكتاب جاء لسد حاجة ملحة لطلبة الجامعات بسبب افتقارهم ، مع اساتذتهم ، للنظرية الاجتماعية العلمية التي تربط النظرية الاقتصادية بالواقع الاقتصادي وتؤكد حقيقة الصلة بين الاقتصاد والتاريخ وتكشف لهم المضمون السياسي لجميع النظريات الاجتماعية وتخلق فيهم ملكة النقد المستمر وروح البحث لا للتفسير فقط بل للتغيير ايضا... وان مضمون الكتاب من آراء وافكار هي من نتاج علماء اعلام وهبوا انفسهم لا للتضليل والتدجيل واضاعة الوقت عبثا لعرقلة حركة التاريخ بل للتنوير والتوجيه وكشف النقاب عن قوانين الضرورة الاجتماعية لأستخدامها في خدمة هذا الكائن الاعلى في الوجود : الانسان ، الذي بامكانه ان يكون دائما احسن مما كان ." وفي مكان آخر من الكتاب اكد الاستاذ كبة (ص ١٢٦ – ١٢٨) :" الاقتصاد السياسي في حركة مستمرة اي ديناميكي وتاريخي معا وهو ليس مجرد دراسة نظرية بل هو دليل للعمل ، انه ليس مادة جامدة ملقاة على طاولة التشريح ، والذين يدرسونه ليسوا متفرجين خارجين عن المجتمع بل يستمدون حياتهم منه . ... ان جميع النظريات الاقتصادية تعكس البنيان الطبقي الاجتماعي السائد في المجتمع وتعبر عن المصالح الاجتماعية وهي لا تبنى على افكار مفكر بل تعبر عن النشاط الفعلي للمنتجين.... وطبقية النظريات الاقتصادية شرط اساسي لموضوعيتها فالافكار الاقتصادية مرتبطة دائما بالنشاطات الاقتصادية ... وليس هناك علم حيادي للاقتصاد اي خارج البناء السياسي اي لاطبقي ."

تطرق الاستاذ كبة الى موقف الفلسفة العلمية من الوجودية والازمة الشاملة للايديولوجيا الامبريالية في عرضه عام ١٩٥٣ " ازمة الفلسفة البورجوازية " لمؤلفه جورج لوكاش .. وفي " ازمة الفكر الاقتصادي " لمؤلفه " هنري دنيس " والصادر عام ١٩٥٣ اكد الاستاذ كبة " في الايديولوجية الامبريالية لازمة العصر يختفي الكفاح الاجتماعي بين الطبقات والامم بعصا سحرية لتحل محله انواع اخرى ميتافيزيقية من الكفاح : مثلا الاخلاقي بين الشر والخير ، النفساني بين ارواح الحضارات ، الديني بين الالوهية والالحاد ، الثقافي بين البربرية والحرية .. لكنها تدرك ان عدوها الاول هي الجماهير فتحارب مثلها الديمقراطية والتقدمية باكاذيب وسخافات مبتذلة تعبر عن جوهر الارستقراطية الفكرية .."

وفي كتابه " الاقطاع في العراق " الصادر في ١٩٥٧ يؤكد الاستاذ كبة (ص ١٧) " من الغريب ان يطمئن السيد نوري السعيد الرأي العام العراقي بقرب زوال النظام الاقطاعي العشائري عن طريق الارث وتقسيم الاقطاعيات الكبيرة على الابناء والاحفاد ، وقد تناسى فخامته ان قرونا سحيقة مضت على نظام الارث دون ان تنال من النظام المذكور وان الانظمة والتقاليد العشائرية تحتفظ بالملكيات الكبيرة للابناء الكبار فقط . ويعلم الرأي العام ان السبيل الوحيد للقضاء على هذا النظام الظالم هو تغيير العلاقات الاقطاعية نفسها بتمليك الارض لمنتجها والقضاء على الملكيات الاستغلالية الكبرى في الزراعة وتوزيع اراضي الدولة على الفلاحين واتباع نظام التعاونيات الزراعية... الخ. كل هذا مرتبط بالقضاء على الاستعمار وسحق الرجعية وانتصار الحركة الوطنية بمجموعها وتحقيق الاهداف الوطنية الكبرى ."

ويضع الاستاذ كبة النقاط على الحروف في مقدمة كتاب "تشريح الكوسموبوليتية " الصادر في ١٩٦٠ ليؤكد " لا تؤثر السياسة الارهابية الا على اناس ضعيفي الاعصاب ، وليس على الشعوب المسالمة المصممة على ترويض الوحوش الضارية من اكلة لحوم البشر . ان اثارة الضجة حول جبروت الاسلحة الذرية واسلحة الدمار الشامل الاخرى ، عكس ما يأمله منظموها ، لا تؤدي الا الى تشديد عزلة انصارها وافتضاحهم امام شعوب المعمورة ... ان الآمال الطيشية الجنونية المعلقة على ادوات الافناء الجماعي للبشرية تمثل آخر نقاط الارتكاز لأيديولوجي الرأسمال ، نقاط ارتكاز تشهد على موتهم الادبي ، وجزعهم من السير التقدمي للتاريخ ."

استهدف الاستاذ كبة في ترجمته كتاب البروفيسور موريس كورنفورث " البراغماتية والفلسفة العلمية " الصادر في ١٩٦٠ توضيح ان البراغماتية وعموم الفلسفة الوضعية تنكر صراحة اية قيم واخلاق انسانية تستند الى العقل والعلم . وان التأكيد البائس للعالم الرأسمالي على قيم المشروع الحر والمنافسة في سبيل اقصى الارباح ، القيم المتسترة بستار الحضارة الغربية هي انعكاس للانهيار الاخلاقي التام بسبب الازمات البنيوية المستمرة ... ولا تستطيع البراغماتية الا قبول الاخلاق الرأسمالية على علاتها ووحشيتها وقسوتها واستبدادها .

الف ابراهيم كبة عدة مؤلفات عن القضية الجزائرية ركز فيها على النضال الوطني التحرري للشعب الجزائري وانه لا قومية من دون جوهر انساني واممي ، وان ازدهارها مشروط بازدهار القوميات الاخرى وبتحرر الانسانية جمعاء !..

اواسط سبعينيات القرن المنصرم اعتمدت المدرسة الحزبية في الحزب الشيوعي العراقي كتاب هيرمان شيلر " الماركسية والحرب الامبريالية " ضمن المنهاج المقرر لتدريس رفاق الحزب .. ويؤكد الاستاذ كبة في مقدمة هذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٦٠ على ان الحروب لا تشكل نقيضا لأسس الملكية الخاصة بل هي النتيجة المباشرة الحتمية لتطور تلك الاسس . وتمد الحروب جذورها في الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وهي ظاهرة طبيعية وحتمية في جميع المجتمعات المنطوية على التناقضات والقائمة على نظام الملكية الخاصة ! ... انها ظاهرة طبيعية وحتمية لجميع الاشكال الاجتماعية للمجتمع الطبقي !..هي استمرار للسياسة بوسائل عنفية . الحرب العادلة تفرضها الطبقات الرجعية على الطبقات ذات المصلحة في التقدم الاجتماعي وتخاض في سبيل تحرير الشعوب من الاستبداد الداخلي او الاحتلال والاضطهاد الاجنبي لتوكيد الحرية السياسية التي تنتزع ولا تهبط من السماء على طالبيها ! .. الحرب غير العادلة تتجسد في الارتدادات المتوقعة والنشاطات الرجعية والارهابية التي تعرقل تقدم المجتمع او البشرية والدفاع عن القديم البالي ضد الجديد الناشئ الثوري ليدفع الشعب او الشعوب ثمنها من دمائها الغالية وتتحمل اعباءها المادية الباهظة ! الحروب الامبريالية هي حروب غير عادلة ..

يؤكد الاستاذ كبة في مقدمة الكتاب الموسوم " ماهي الامبريالية؟ " الصادر في ١٩٦١ " على الشغيلة ان تعلم ماهية الامبريالية لأن هذه المعرفة تخدمها في الكفاح من اجل السلم ضد شن حروب جديدة ، في الكفاح من اجل تحرير الطبقة العاملة وسائر الشغيلة من نير الامبريالية . ومن دون دراسة الامبريالية ومعرفة جوهرها الحقيقي لا يمكن للمرء تحديد اسباب الحروب الحديثة وجوهر السياسة الجديدة للدول الرأسمالية . من دون دراسة الامبريالية وفهم مغزاها الاجتماعي والسياسي لا يمكن التقدم خطوة واحدة للامام في حل المهام العملية للحركة العمالية في البلدان الرأسمالية ، وفي حل مهام الثورات الوطنية التحررية .. فما هي الامبريالية ؟ ولماذا تكمن بالضبط في الامبريالية وليس في مكان آخر اسباب الحروب الحديثة والآلام الفظيعة والكوارث المريعة للبشرية ؟"

حول الاستاذ ابراهيم كبة محاكمته الى محاكمة للبعث والقومجية والرجعية وبرامجها الاقتصادية الانتقائية النفعية ليسحب البساط من تحت جهل وغباء وحماقة المدعي العام وما وجهه من اتهامات اعتباطية ، ودافع عن نفسه بنفسه في مرافعة كانت دراسة عن الاقتصاد العراقي في فترة ما بعد ثورة ١٤ تموز .. حول محاكمته ودفاعه الى دراسة علمية اقتصادية ذات قيمة عالية..نشرت في كتاب اقتصادي وفكري ثمين بعنوان "هذا هو طريق ١٤ تموز – دفاع ابراهيم كبة امام محكمة الثورة " عام ١٩٦٧ ..

كان الاستاذ ابراهيم كبة من الد اعداء الفكر الرجعي بتلاوينه وخزعبلاته دون الوطنية او العابرة لها .. وساهم في فضح الآراء والحنقبازيات الفكرية الروزخونية القومية والطائفية والتي كانت فاعلة في اجهاض ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة في وثيقة " الفكر الرجعي في العراق " في ١٩٦٧/٥/٥،مما جاء فيها " إن انبعاث الفكر الرجعي في العراق الآن ، لا يعود لأسباب فكرية خالصة تتصل بتشبثه بحجج جديدة مقنعة تستحق المناقشة ، بل هو يعود في الأساس إلى دوره القديم – الجديد كسلاح من أهم أسلحة الردة المستشرية في البلاد ، والتي بدأت طلائعها في الواقع منذ السنوات الأخيرة للحكم القاسمي ، وبلغت ذروتها عبر انقلابي شباط وتشرين ، وذلك لاسباب موضوعية كثيرة أهمها تغير المواقع الطبقية بعد تموز، قيادة البورجوازية وبعض مراتب البورجوازية الصغيرة لحركة الردة ، وتطلعها للسيطرة السياسية المطلقة في ظل الاستعمار الجديد واعتمادها على جبهة رجعية واسعة تضم اليمين الرجعي القديم (الإقطاع ، البورجوازية العقارية الكبيرة ، البورجوازية الكومبرادورية) والوسط الرجعي الجديد (البورجوازية الوسطى او الوطنية) وبعض مراتب البورجوازية الصغيرة المتخلفة المتقنعة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1836)
السنة السابعة
الخميس (1)
تموز 2010

بالأقنعة القومية والطائفية.إن الردة الفكرية ، بقدر ما هي أداة من أدوات المعركة الاجتماعية ، تعكس بنفس الوقت هذه المعركة وتنطوي على نفس منابعها وجذورها الطبقية والاجتماعية ."

أزمة الحكم في العراق أزمة مزمنة لازمت نظام الحكم فيه منذ تأسيس ما سمي بالحكم الوطني في العراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد تطورت هذه الازمة وتعقدت مع تطور وتعقد العلاقات الاجتماعية. إن ازمة الحكم بعد ثورة ١٤ تموز تعبير عن ازمة اعمق واشمل هي ازمة المجتمع العراقي بالذات . وقد قدم الاستاذ ابراهيم كبة مع الاساتذة مصطفى علي وعبد الوهاب محمود ومحمد سلمان حسن مذكرة تفصيلية بتاريخ أيلول /١٩٦٦ للسيد ناجي طالب رئيس الوزراء حينذاك تضمنت تحليلا مركزا وحلولا ضرورية لأزمة الحكم هذه في مرحلتها الجديدة ، مرحلة بعد تموز ، بعد ان وضعتها في مكانها المناسب من ازمة النظام الاجتماعي الشاملة . واثر انقلاب ١٧- ٣٠ تموز حاولت الطغمة البعثية منذ الايام الاولى للانقلاب ايجاد قنوات الاتصال بالاستاذ كبة ، فرد عليها بحنكته المعهودة وخبرته معهم في حملات التصفية التي اعقبت انقلاب ١٤ رمضان الاسود في مذكرة تحت عنوان " نصيحة للحكام الجدد - من اجل حل سلمي لأزمة الحكم في العراق "مؤرخة في ١٩٦٨/٨/٣ ... ومما جاء فيها " إن محاولة الحكم الحالي التصدي بمفرده لمشاكل البلاد الكبرى بمعزل عن القوى الأساسية في المجتمع ، كمسألة النفط او الإصلاح الزراعي ...، تجاوز لصلاحياته من جهة واستحالة مادية بسبب عجزه من جهة أخرى ، إذ أن ذلك من صلاحية ومهمة حكومة الاتحاد التقدمي وحدها المنبثقة عن الانتخابات العامة. كما إن محاولة هذا الحكم الانفتاح الشكلي على القوى السياسية الأخرى واشراك بعض ممثليها في الحكم في هذه المرحلة المبكرة وقبل القيام بالمراحل التمهيدية وفي ظل الاحتكار السياسي القائم هي محاولة عقيمة بالمرة ...، إذ أن تأليف الحكومة الائتلافية الحقة يأتي تتويجا لعملية التحول السياسي ولا يكون تدشيناً لها..." واكد كبة " ان الآمال التي يعلقها بعض الأخوان الأكراد على أية حكومة غير ديمقراطية ومنها الحكومة الحالية لحل المسألة الكردية هي سراب خادع لا يضع المسألة المذكورة في موضعها من القضية السياسية والاجتماعية العامة".

وفي" رسالة مفتوحة إلى مجلس قيادة الثورة من الاستاذ إبراهيم كبة - حول الترقية والعزل السياسي" بداية العام الدراسي ١٩٦٨ اكد كبة ".. أبهذه الذهنية المسيطرة على بعضهم تريدون إصلاح التعليم العالي ، وهل في سياسة الحكومة فعلا اعتبار العزل السياسي عقبة تحول دون ترقية العلماء والأساتذة ؟ ولماذا سبق للجامعة أن قامت بترقية أساتذة آخرين بالرغم من عزلهم السياسي ؟ إنني لعلى يقين بأن رسالتي هذه لن تذهب هباء وأن المجلس المحترم سوف يبادر لتصحيح الأوضاع في الجامعة بما ينسجم مع السياسة العامة في تعزيز الفكر العلمي فيضع حدا لتقاليد كنة والجمالي سيئة الصيت ، ويقضي على عقدة مستعصية هي عقدة مقاومة الاشتراكية لا بالعلم والجدل العلمي بل بتعريض أصحابها إلى الإهانة المعنوية والإيذاء المادي ".

يؤكد الاستاذ كبة في مقدمة كتاب " الرأسمالية نظاما " لمؤلفه اوليفر كوكس والصادر عام ١٩٧٣ (ص ٩ – ٢٣) دور العوامل المادية والفكرية التي ساعدت في تطور النظام الرأسمالي ، واهمية الربط الوثيق بين الاقتصاد الرأسمالي ومختلف عناصر التربة الاجتماعية " الرحم الاجتماعي " التي ولد وترعرع فيها النظام، والنظرة الطبيعية العضوية لولادة ونمو ونضوج وشيخوخة الرأسمالية ، والنقد العنيف الصائب للمدارس الفكرية التبريرية في الفكر البورجوازي الرجعي وخاصة الفكر الليبرالي والتكنولوجي ، والادانة القاطعة لجوهر العنف الملازم للرأسمالية في ماضيها وحاضرها... يقول كبة في عرضه الحاح كوكس المشروع على التفاعل المستمر بين التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي : " تلك عظة كبرى حبذا لو اتعظ بها اليمين الرجعي المسيطر على المراكز الحساسة في الاقتصاد الجامعي العراقي "... ويلقي الاستاذ كبة الضوء على دور الدين والمذاهب الدينية الاصلاحية في تطور النظام الرأسمالي مع النقد اللاذع للتفسيرات الدينية المتعددة لنشأة الرأسمالية ... يذكر ان الاستاذ في جامعة لنكولن ميسوري (اوليفر كوكس) هو مؤلف الكتاب الموسوم (الطائفة المغلقة والطبقة والعنصر) الحائز اعلى الجوائز التقديرية العلمية في امريكا عام ١٩٤٨ ، وهو كتاب حبذا لو اتعظت به الطائفية السياسية المسيطرة على المراكز الحساسة في العملية السياسية العراقية اليوم .

يركز الاستاذ ابراهيم كبة في مقدمة كتاب روزنتال الموسوم " مشاكل الجدل في رأس المال لماركس " الصادر على نفقة جامعة بغداد عام ١٩٧٩ على ان الجدل المادي باعتباره علم القوانين الاكثر عمومية لتطور الطبيعة والمجتمع هو في نفس الوقت منطق اي نظرية لمعرفة قوانين الفكر. ونجح كارل ماركس في الرأسمال بتطبيق الجدل على المعرفة وحل اعقد معضلات نظرية المعرفة التي بقيت حجر عثرة امام جميع المفكرين السابقين ، من قبيل العلاقة بين الجوهر والظاهرة ، بين التاريخي والمنطقي ، بين التحليل والتركيب ، بين الاستقراء والاستنتاج ، بين المجرد والمحدد ... الخ.

من اصدارات الاستاذ كبة الكتب التالية

١. وجهة القومية الحديثة – ١٩٤١ .
٢. روح العصر – ١٩٤٥ .
٣. تطور النظام الاقتصادي – ١٩٥٣ .
٤. المفاهيم الاساسية للاقتصاد العلمي – ١٩٥٣ .
٥. نظرية التجارة الدولية – ١٩٥٣ .
٦. أزمة الفكر الأقتصادي – ١٩٥٣ .
٧. أزمة الفلسفة البورجوازية – ١٩٥٣ .
٨. معنى الحرية – ١٩٥٤ .
٩. تشريح المكارثية – ١٩٥٤ .
١٠. المذهب السوفياتي في القانون الدولي – ١٩٥٦ .
١١. أضواء على القضية الجزائرية – ١٩٥٦ .
١٢. أزمة الاستعمار الفرنسي – ١٩٥٦ .
١٣. النفط والازمة العالمية – ١٩٥٦ .
١٤. الاقطاع في العراق – ١٩٥٧ .
١٥. العراق والوحدة الاقتصادية – كراس – ١٩٥٩ .
١٦. حول بعض المفاهيم الاساسية في الاشتراكية العلمية – ١٩٦٠ .
١٧. انهيار نظرية الرأسمالية المخططة – ١٩٦٠ .
١٨. الماركسية والحرب الامبريالية – ١٩٦٠ .
١٩. البراغماتية والفلسفة العلمية – ١٩٦٠ .
٢٠. الجزائر وقضية الشعب الفرنسي – ١٩٦٠ .
٢١. الامبريالية – ١٩٦١ .
٢٢. تشريح الكوسموبوليتية – ١٩٦١ .
٢٣. محاضرات في التاريخ الأقتصادي – ١٩٦٧ .
٢٤. هذا هو طريق ١٤ تموز – دفاع ابراهيم كبة امام محكمة الثورة – ١٩٦٩
٢٥. محاضرات في تاريخ الأقتصاد والفكر الاقتصادي – ١٩٧٠ .
٢٦. محاضرات في تاريخ الأقتصاد والفكر الاقتصادي – الطبعة الثانية – ١٩٧٣ .
٢٧. الرأسمالية نظاما – ١٩٧٣ .
٢٨. مشاكل الجدل في الرأسمال لماركس – ١٩٧٩ .

ومن دراسات ابراهيم كبة في المجلات العراقية والعربية وغير المنشورة:

١. عبء الاثبات في القوانين – الحقوقي – ١٩٤٠ .
٢. نظرية القانون الصرفة – الثقافة الجديدة – ١٩٥٤ .
٣. ازمة النظام الكولونيالي – الثقافة الجديدة – ١٩٥٤ .
٤. حول مؤلف عن تاريخ العراق الحديث – الثقافة الجديدة – ١٩٥٤ .
٥. حول المعاهدات غير المتكافئة – الثقافة الجديدة – ١٩٥٨ .
٦. سياسة الجمهورية العراقية الاقتصادية – مجلة الكمرك – ١٩٥٩ .
٧. الكينزية كمنهاج اقتصادي للرأسمالية المنظمة – الثقافة الجديدة – ١٩٦٠ .
٨. مذكرة السادة مصطفى علي وجماعته – دراسات عربية – عدد أكتوبر – ١٩٦٦.
٩. الفكر الرجعي في العراق – دراسة غير منشورة – ١٩٦٧/٥/٥ .
١٠. نصيحة للحكام الجدد – من اجل حل سلمي لأزمة الحكم في العراق – ٣ /١٩٦٨/٨
١١. ملاحظات عامة حول مادة التاريخ الأقتصادي – مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية – ١٩٦٩ .
١٢. لانكة والمادية التاريخية – الثقافة الجديدة – ١٩٦٩ .
١٣. بعض التقييمات الماركسية للكينزية – الثقافة الجديدة – ١٩٦٩ .
١٤. من نظريات الدورة الاقتصادية – مجلة الجامعة المستنصرية – ١٩٧٠ .
١٥. حول النظرية العامة لكينز – مجلة الجامعة المستنصرية – ١٩٧٠ .
١٦. حول نظرية شتايرمان – الاقتصادي – ١٩٧٠ .
١٧. تحليل شومبيتر للفكر السكولائي – الاقتصادي – ١٩٧٠ .
١٨. اوليات حول الدورة الاقتصادية – المثقف العربي – ١٩٧٠ .
١٩. نظرية كوفوليف حول مرحلة الانتقال للعبودية – المثقف العربي – ١٩٧٠ .
٢٠. حول طبيعة النظام الاقطاعي – المثقف العربي – ١٩٧٠ .
٢١. استعراض نقدي لادب الاكاديمي المعاصر حول مادة التاريخ الأقتصادي – الاقتصادي – ١٩٧٠ .
٢٢. حول نظرية القيمة الماركسية – الاقتصادي – ١٩٧٠ .
٢٣. الاقتصاد الكينزي – الاقتصاد – ١٩٧١ .
٢٤. موريس دوب ومفهوم التراكم البدائي للرأسمال – الاقتصادي – ١٩٧١ .
٢٥. حول مفهوم رأسمالية الدولة الاحتكارية – الاقتصاد – ١٩٧١ .
٢٦. حول العلاقة بين الماركسية والفيزيوقراطية – الاقتصادي – ١٩٧١
٢٧. الاقتصاد الماركسي والادب الالماني المعاصر– الاقتصاد – ١٩٧١ .
٢٨. هنري دني وموضوعة عدم اكتمال رأسمال ماركس – الاقتصادي – ١٩٧١ .
٢٩. هكس ونقاده المحافظون – الاقتصاد – ١٩٧١ .
٣٠. في الادب الاقتصادي السوفياتي – الاقلام – ١٩٧١ .
٣١. هكس ونظرية التاريخ الأقتصادي – الاقتصاد – العدد ١٣ – ١٩٧١ .
٣٢. حول تحليل ماركس لنمو المتناقضات داخل الظواهر الاقتصادية – الاقتصادي – ١٩٧٢ .
٣٣. نظرية النمو في الاقتصاد الاشتراكي – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٤. دني وتاريخ الفكر الأقتصادي – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٥. اقتصاديات الامبريالية – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٦. الانتقال نحو الاقتصاد الاشتراكي – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٧. القومية والرأسمالية في البيرو – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٨. اشكالية الاقتصاد الانتقالي – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٣٩. حول كتاب الرأسمالية نظاما – الاقتصاد – ١٩٧٢ .
٤٠. ضوء جديد على مشكلة العلاقة بين الدين ونشوء الرأسمالية – – الاقتصاد – ١٩٧٣ .

إبراهيم كبة ..

المفكر البارع والاقتصادي المتميز

أ.د. ماهر موسى العبيدي

تتفاوت الدوافع للكتابة بقدر تفاوت الكاتبين ،ولا يتقدم الكاتبون بعضهم على بعض الا على قدر ما يحملون من نيات بين جوانحهم ، فمنهم الصادق ومنهم دون ذلك ، وهم بعد ذلك لا يغيرون من الحقيقة شيئًا ، ولكنهم يتفاضلون في سعيهم لكشف تلك الحقيقة، واظهارها بصورتها البيضاء الناصعة، تسر الناظرين وتملؤهم غبطة وسرورًا وعلى هذا لا على غيره وددت الكتابة عن شخصية متميزة كان لها دورها البارز في تاريخ العراق الحديث، الا وهي شخصية المفكر البارع الاستاذ الكبير المرحوم إبراهيم كبة.

اختارته قيادة ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨) ليكون وزيراً للاقتصاد ثم وزيراً للاصلاح الزراعي، وكان متألقاً في ادائه وافكاره خلال المدة القصيرة التي شغلها في هذين المنصبين.

وفي وزارة الاقتصاد كان ابرز ما نادى به (على ما اتذكر) مقاطعة فرنسا اقتصادياً مناصرة للثورة الجزائرية العظيمة ، الا انها لم تلق استجابة من دول الجامعة العربية على الرغم من التبجح الذي كان يظهره العرب في هذا الجانب، فكان ما طرحه في ذلك الاجتماع امتحاناً عسيرًا تميز فيه الصادق من الكاذب ، كما كانت افكاره في الوحدة الاقتصادية العربية اسبق من الوحدة الاقتصادية الاوروبية ، وما زالت وحدتنا الاقتصادية العربية تحبو في خطواتها الأولى حتى ألان مع الأسف.

أما الاتفاقية الاقتصادية العراقية – السوفيتية فكانت مثالاً رائعاً لبداية التصنيع في العراق بقيادة القطاع العام وعلى الرغم من الضجة التي اثارها معارضو عبد الكريم قاسم وحاسدو إبراهيم كبة التي ادت الى تعطيل تنفيذها في ذلك الوقت ، عاد هؤلاء انفسهم الذين وقفوا ضدها بعد تسع او عشر سنوات ليعملوا جاهدين على تنفيذها فكانت بما تحتويه من مصانع ومنشآت مساهمة كبيرة في التصنيع في العراق.

ولم يكن عمل الاستاذ ابراهيم كبة على صعيد الزراعة اقل شأناً منه على صعيد التجارة، فعند تسنمه وزراة الزراعة عمل جاهداً لتنفيذ القانون الذي كان يهدف بمضمونه السياسي الى انهاء نفوذ الاقطاع السياسي والاقتصادي ورفع مستوى الإنتاج الزراعي لاحقاً.

وقد أوضح لنا رحمه الله في محاضراته فيما بعد عندما عمل استاذاً في كلية الاقتصاد والتجارة في جامعة بغداد سنة ١٩٦٢ ، أسباب السرعة العالية في تنفيذ ذلك القانون.

وعندما سألناه نحن طلبته المعجبين بمستواه العلمي العالي عن اسباب انخفاض انتاجية القطاع الزراعي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت اجابته، بأن تفتيت الملكية كان هدفاً سياسياً ولكن...

واضاف سبباً طريفاً اخر صاغه بصورة بلاغية، اذ قال ان احد الاسباب الاخرى هو ان الوزارات العراقية لا تسير جميعها معاً على خط واحد في ادائها، وانما اشبه ما تكون بخيول السباق، يصل احدها الى المقدمة في الوقت الذي يكون بعضها في مؤخرة الركب.

والحالة الأخيرة هي حال جميع وزاراتنا اذ تحبو ولا تركض مسرعة ، كانت لملازم الفكر الاقتصادي المئة أثرها الكبير فيما تعلمناه في قسم الاقتصاد وكان يضع الأسئلة بطريقة متميزة اذ يبغي منها التحقق من الفهم وليس الحفظ اما الدرجات فهي على مستوى الإجابة التي تصب في الهدف من السؤال وليس الإسهاب بالإجابة، كانت محاضراته في مرحلة الدراسة الجامعية الأولية المئة صفحة أفضل من كتاب المفكر الاقتصادي البولوني ميشنيفسكي الذي كان يحتوي ثمانمئة صفحة والذي درسته في بولونيا خلال دراستي مرحلة الدكتوراه، رحم الله الأستاذ إبراهيم كبة المفكر الاقتصادي العظيم والنزيه.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون